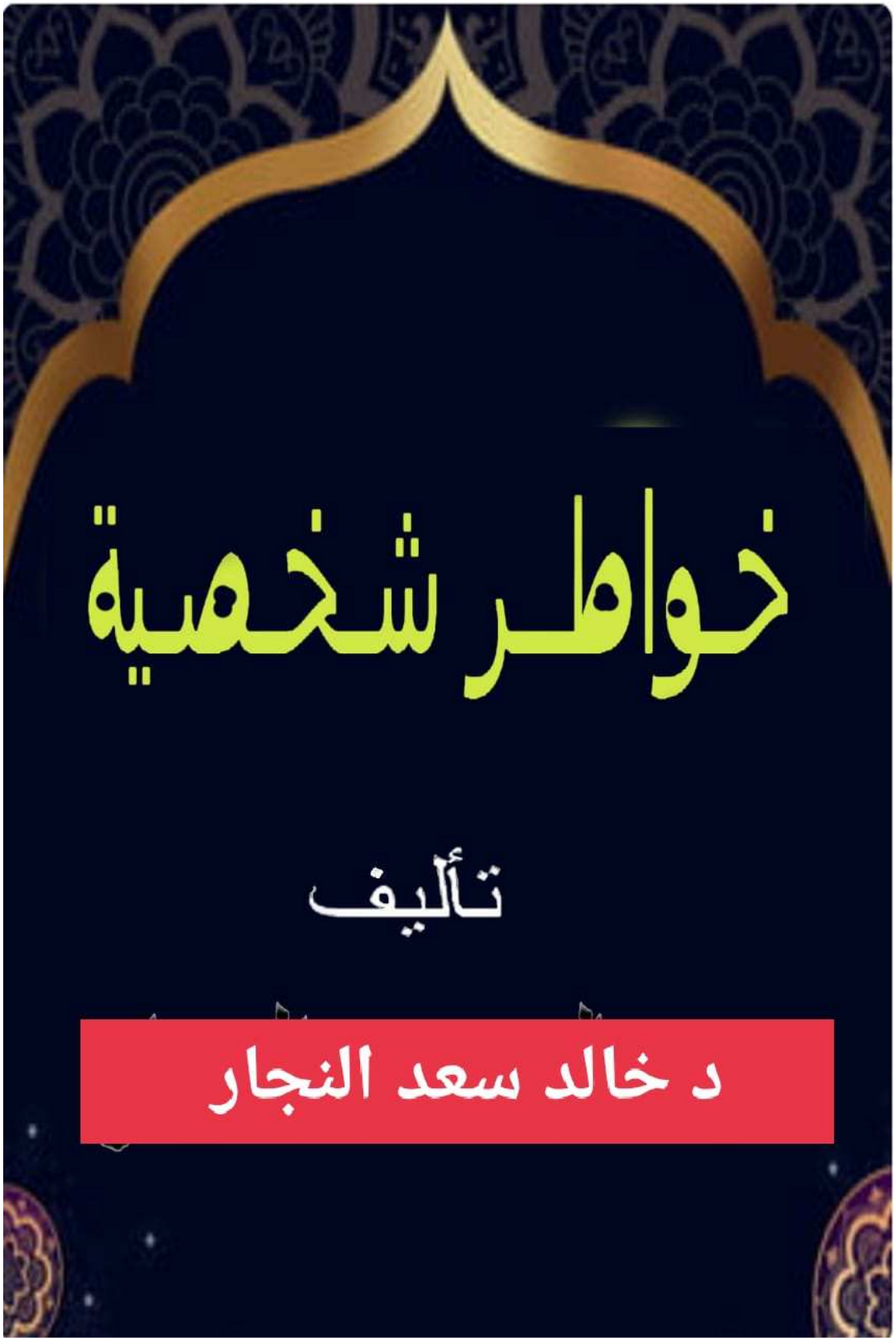

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أعظم الله أجرك

مع النسمات الأولى للفجر دق جرس الهاتف، كان صوت المتحدث مختنق شوهت معالمه نبرات البكاء، وبصعوبة بالغة فهمت منه أن والده قد مات فاسترجعت وأخبرته أنني قادم إليه في الحال.

وفي الطريق إليه مرت الذكريات أمام عيني كأنها شريط سينمائي تزاحمت صوره وتعددت .. كان صاحب الهاتف صديق عمري، ولم تكن فجيعتي بوالده بأقل من فجيعته، فكم عايشنا سويا من الأحداث منذ الطفولة حتى الكهولة مرورا بمرحلة الشباب، وكم رأيت في والده مثالا للأب الحنون الجدير بكل خير وبر.

وصلت إلى منزله وعزيته قائلا: «أعظم الله أجرك»، إلا أنه كان هناك دافع بداخلي يحتم علي أن لا أقف عند حدود التعزية وحسب، فلقد كنت أحس أن علي واجب تجاه صديقي ووالده أكبر من حدود الكلمات بحكم إسلامي وصداقته العريقة .. واجب تجسد أمامي في أن أقوم بدور إيجابي لتتم مراسم الجنازة وفق هدي الإسلام، فكم تعلقنا في هذه المواقف بالعديد من البدع التي تغضب ربنا وتخالف هدي نبينا صلى الله عليه وسلم، فأولى حقوق فقيدنا الغالي أن يخرج من الدنيا على خير كما دخلها بخير، وأن نجنبه ويلات بدع هو برئ منها، كما تبرأ منها إسلامه من قبل، فكم تدفعنا الأحزان إلى تجاوز خطوطا حمراء لا ينبغي لنا تجاوزها، وكم عذبنا أمواتنا بصياح ونواح كانوا في غنى عنه، وكم كان الإفراط في العواطف ملهيا لنا عن النظرة الحقيقة لفعل ما ينفع الميت أثناء وبعد وفاته.

ولا أنكر أن أعظم مشكلة واجهتها في هذا الموقف كانت من قبل النساء، فمما لا شك فيه أن طبيعة عواطف المرأة المرهفة توقعها في كثير من المخالفات خاصة في المآتم، وفي حديث مقتضب مع الحاضرات ألمحت لهن أنه ليس من المنطقي أن ننوح على فقيدنا شفقة وحزنا عليه، وهو يعذب بهذا النواح كما أخبرنا المعصوم صلى الله عليه وسلم بقوله: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» [رواه أحمد]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

هذا بالإضافة إلى أن الإسراف في الجزع يحمل في طياته التسخط والاعتراض على قضاء الله تعالى الذي هو حتم لا مناص منه، وينافي الصبر المأمور به العبد في تلك المحن، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية» [رواه مسلم]، وكفي بالنائحة زجرا، قوله صلى الله عليه وسلم: «النياحة على الميت من أمر الجاهلية، وإن النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت، فإنها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران، ثم يغلى عليها بدروع من لهب النار» [رواه ابن ماجة]

نزلت هذه الأحاديث النبوية على قلوب القوم بردا وسكينة، الأمر الذي شجعني أن أمضي في سبيلي وأتمم ما عزمت عليه، فتوليت بنفسي الغسل وفق سنة الإسلام، مبتعدا عن الكثير من المبالغات التي تقع من بعضنا، كالإسراف في ثمن الكفن أو الإفراط في استخدام الحنوط والمبالغة في شرائه.

ومر موكب الجنازة بحمد الله تعالى بدون مخالفات تذكر، فلا صخب ولا ضجيج ولا رفع صوت بذكر أو قراءة الفاتحة بصورة جماعية ولا نعي كنعي الجاهلية، فلقد كنت حريصا على أن أجهض مثل هذه الأفكار البدعية في مهدها إذا صدرت من بعض الحاضرين، موضحا هدي الإسلام في كل هذه الأمور.

وعند مشارف القبر حملنا فقيدنا دون تلقين، وكان آخر ما ودعناه أن وضعناه في قبره ببسم الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقفنا ندعو له، لتدفعنا الأحداث بعد ذلك إلى أصعب موقف مع صديقي الحميم، إذ كيف أستطيع إقناعه أن يعدل برأيه عن إقامة سرادق للعزاء ليلا يدعى إليه أغلى القراء وينفق علية أنفس الأموال ظنا منه أنه أقل تكريم يمكن أن يقدم لوالده.

بدأت معه الحديث بذكر هدي النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر، وقول جابر بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: «كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة»، وكنت أتلمس في عينيه أمارات القبول والاقتناع شيئا فشيئا، لكن العائق الوحيد الذي وقف حاجزا بيني وبينه هو خشيته الشديدة من ملامة الناس أن يقولوا (ما وفى بحق والده) لكنني صممت أن أدفعه للصواب دفعا، فالناس

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لن ينفعوه ولن يمنعوه من سخط الله عز وجل عليه، وأولى بالمسلم الحق أن يؤثر رضا الله تعالى على ملامة الذين لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، وأن لا يجعل الله عز وجل أهون الناظرين إليه.

كنت حريصا في المناقشة معه دائما على أن أجعله يفاضل ويختار، بين أن ينفع والده نفعا حقيقيا أو أن ينفعه نفعا شكليا، بين ملامة الله تعالى وملامة الناس، بين بساطة الإسلام وتعقيدات التقاليد التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

وأخيرا اختار أن ينفق ما خصصه لتكاليف السرادق على صدقات تنفع والده والحمد لله.

عدت مساء إلى منزلي وفي ذهني مقارنة بين بساطة التكاليف الربانية وتعقيدات الأمور البدعية، ولسان حالي يستغرب ويتسائل:

لماذا يشق الناس دائما على أنفسهم؟ ولماذا يظنون أن للدين قيودا ثقيلة رغم أن القيود من صنع أنفسهم هم؟ ولماذا يؤثرون إرضاء وجهائهم على النفع الحقيقي لأعزائهم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

السينما التي تعرف طريقها

كنا أشبالا صغار نجلس أمام شاشة التلفاز نتابع أفلام بواكير سبعينات القرن الماضي .. كانت رحلة ترفيهية إمتاعية بالدرجة الأولى، لكن صانعوا الأفلام كانوا لا يرونها كذلك، بل كانوا يعرفون طريقهم ويرسمون خططهم لإضفاء بصمة جديدة على أفق المجتمع المتدين المحافظ، وتغيير شكل الأفكار والتصورات ولكن بهدوء، فكانوا يخططون ونحن منساقون.

لا أحدثكم عن الممثلات المتبرجات في مجتمع قل أن تجد فيه امرأة حاسرة الرأس إلا نصرانية، ولا أحدثكم عن مشاهد البارات والخمور، أو مشاهد المغنيين وقد أصطف خلفهم أسطول من الراقصات العاريات .. تلك كانت مشاهد غريبة على طفولتنا الطاهرة، وعصية على أن نتآلف معها، لكن صانعوها أرادوا على الأقل أن نأخذ فكرة عن المجتمعات الملوثة، أو على الأقل أن يخدشوا حيائنا ولو حتى خدوشا بسيطة.

لكن الخطير الذي غير وجه المجتمع، هي سياسة اللعب على الأفكار، ودوما فتنة الشبهات أعظم خطرا من فتنة الشهوات.

شيخ الكتاب

كانت كتاتيب تحفيظ القرآن منتشرة في ربوع الوطن .. في القرى وفي الحارات وفي الأزقة، وكان الحديث عن الأفاضل مسبوقا بالعبارة الشهيرة: «أتم حفظ القرآن في صباه»، وكان شيخ الكتاب شخصية لها اعتبارها ووزنها، وكيف لا هو الذي يربط النشء بالقرآن، ويصوغ أحاسيسهم على هديه وإيقاعه، وكان للشيخ هيبة أينما حل وذهب، ووجاهة عندما يحضر في المشكلات، فالكل يصدر عن رأيه، ويخضع لحكمه، ولما لا وهو الذي حمل القرآن في صدره، ولا يوجد بيت إلا وللشيخ الفضل على أفراده كبارا كانوا أو صغارا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لكن السينما كان لها هدفا آخر، وكان سدنتها يحزنون لعلو صوت القرآن على صوت الألحان، فصورت شيخ الكتاب بصورة كريهة تمجها النفوس، فهو الشيخ الكفيف، صاحب شخصية دونية مفتاحها الطعام والشراب، فيستطيع أي أب أو تلميذ أن يشتري ذمته ببعض الطعام، أو درهم أو دينار، ثم هو في الكتاب غليظ الطبع عتل جواظ، الكل يرتعب منه، والطفل بين يديه يلقي حفظه من الآيات الكريمات وهو يرتعش خوفا من بطشه.

كانت صورة منفرة ولكنها متكررة، يكاد لا يطرق موضوع الكتاتيب في مشهد إلا وتجد هذه الصورة النمطية للشيخ المبتذل .. وإن كانت هذه الصورة موجودة أفرادا قلائل، إلا أن التكرار حولها لنمط سائد، في حين يظهر المرشد النفسي أو التربوي المنمق الهندام وهو يتحدث عن احتواء الطفل والحوار معه وتفهم دوافعه في صورة رقيقة وحساسة تأخذ بالقلوب وتكره الدين وأهله.

ومع مرور الوقت نجحت السينما، وانقرضت الكتاتيب، اللهم إلا أفرادا في القرى، وغاب المحفظين والحفظة، ونشأ جيل في مجملة لا يعرف إلا الكاتشب وأكل الشيبسي والهامبرجر، وسائر الملذات.

حتى اللغة العربية طالها نفس المخطط الرهيب، وتولى كبره الممثل النصراني نجيب الريحاني «أستاذ حمام» مدرس اللغة العربية، الأهبل لكنه طيب القلب، والساذج الذي تعلم بعد ذلك فنون العشق، والمبتذل الذي تعلم حسن الهندام في محراب الغرام.

وين هنادي يا خال؟!

فيلم «دعاء الكروان» .. كانت هنادي الصبية الجميلة خادمة عند الباشمهندس الشاب السكير .. راودها عن نفسها، ثم راودته عن نفسه، ووقعا في الفاحشة، فما كان من خالها المغوار إلا أن أخذها وقتلها وواراها في التراب .. القصة كانت ماكرة لأبعد الحدود، فهنادي الرقيقة ضحية الظروف والمجتمع! والخال كان رجلا فظا غليظ الصوت متجهم الوجه، وأخت هنادي تسأله في حزن وأسى السؤال الشهير: وين هنادي يا خال؟ فيرد بفظاظة: هنادي راحت في الوبا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

انقلبت الموازين فصارت الخطية ضحية تستدر شفقة وعطف المشاهد، وصارت الرجولة مستهجنة لأنها ثأرت لعرض بعدما فرطت فيه ابتداء.

القهوة الشعبية

القهوة الشعبية حظيت في الأفلام والشاشات باهتمام رهيب، فيها تدار الحوارات السياسية والاجتماعية، وهي منتدى لبث الشكوى بين الأصدقاء، والشيشة من لوازمها، وربما تواجد فنان بعوده يطرب السامعين .. تضليل لواقع مغاير تماما للحقيقة، وتضخيم لقزم لا نعرف من رواده إلا شراذم الناس وسوقتهم، بل إن أصحاب المهن المرموقة في المجتمع يأنفون من الجلوس على تلك المقاهي، فلا تجد طبيب أو أستاذ جامعة أو دبلوماسي أو طيار .. يرتاد مثل هذه الأماكن، بل حسب علمي أن رجال القضاء محظور عليهم رسميا الجلوس على قهوة شعبية.

إنها محاولة دءوب لترسيخ صورة القهوة في المجتمع، وتضخيم لدورها، وبالمقابل تقزيم لدور المسجد وحلقات العلم، رغم أن السلف كانوا يقولون: "إنما يعرف الرجال بالمساجد". كما كان دعائهم للميت: "اللهم إنا نشهد أنه كان من المصلين".

ورويدا رويدا تقبل الناس فكرة القهوة، بل شاركت النساء الرجال في الجلوس عليها، وتدخين الشيشة التي تقتل أنوثتهن، ونجحت السينما في غرضها وابتلعنا الطعم ووقعنا في شراكها إلا من عصم الله تعالى.

صورة الملتحي

الملتحون شريحة وضيئة في المجتمع، وكيف لا وهي فئة استنت بالسنة، وانسجمت مع الفطرة، فيهم الصالح وما أكثرهم، وفيهم أيضا الطالح وتلك سنة الله في خلقه.

لكن السينما التزمت دوما العداء مع الإسلاميين عامة والملتحين خاصة، وأول ما يشد انتباهك في هذه القضية أن منظر اللحية لابد أن يكون مقززا، مع مراعاة أن تبعث في وجدان المشاهد النفرة. رغم أن كثير من الملتحين يجمل منظرهم باللحية. وهي من تمام الرجولة والفحولة. وما زالت اللحية زينة للرجال طيلة عمر البشرية إلى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقت قريب، فما عرف حلق اللحى إلا في المتأخرين. لكن الخصومة مع هيبة ومنظر اللحية تصل لدرجة الإجماع السينمائي.

إن السينما الترفيهية من وجهة نظرنا، كانت سينما توجيهية إلى حد كبير، وصناعة النجوم على شاشاتها يعرف الجميع أنها صناعة قذرة، وأن أوساط الفن أوساط مشبوهة، ولذلك تجد الأسر الكريمة تثور لو فكرت إحدى بناتهن في الانخراط في دنيا الفن، على عكس ما أوهموا الناس بأن المجتمع كله يلهث وراء النجومية والشهرة والثروة.

مَثّل أهل الفن لنا السعادة وأوهمونا أنهم يعيشون فيها، وحياتهم ما كانت إلا شقاء في شقاء، وإلا فأين السندريلا التي ماتت إما مقتولة أو منتحرة، وأين النجم الذي مات بسرطان الرئة من فرط التدخين، وأين الذي مات من الإدمان .. وأين وأين.

كانت السينما تعرف طريقها

وكنا نحن الساذجين. بل وقد يتحسر أحدهم على الأيام الخوالي، أيام الفن الجميل!!

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

العيش مع الأوباش

قادتني الأقدار للعيش ردحا من الزمن بمنطقة من المناطق العشوائية، في تجربة ثرية عايشت فيها صنفا من البشر لم أعهده من قبل .. إنه عالم غريب تجمعه قواسم مشتركة وأعراف وتقاليد مغايرة تماما لما عليه أسوياء البشر .. عالم عبارة عن مزيج من العشوائية والغوغائية والهمجية التي تفرز سلوكيات ومفاهيم أشبه بقانون الغاب.

والأوباش ليسوا صنف الفقراء الذي يعانون شظف العيش، فمتى كان الفقر عيبا يسوء بصاحبه؟!، بل هو قدر مقسوم في رزق معلوم وعمر محسوم، وكم من فقير حكيم في أقوله رزين في تصرفاته، وكم من عباد لا يصلحهم إلا الفقر ولو أغناهم الله تعالى لفسد حالهم، والعكس صحيح.

أما الأوباش الذين أعني فهم مزيج من قليلي العلم –بل الأمية فيهم أظهر– عديمي الدين والمروءة، ولا يخفى على اللبيب أثر هذه الأمور النورانية في تهذيب سلوكيات البشر، فإذا الإيمان ضاع فلا أمان، ولا دنيا لمن لم يحي دينه.

عالم الأوباش لا تحده فضائل ولا تحوطه قيم، بل هو يدور مع المنفعة والمصلحة أينما كانت ومتى حلت وبأي طريقة كانت، لا يحدوه حِلا ولا حُرمة .. ففي عالم الأوباش يسود مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، ولقد رأيت فيهم الجزار الذي يغسل كرش الحيوانات الأسود بماء النار المخفف كي يبدو أبيضا نظيفا ناصعا!، رغم أن ماء النار حمض فتاك لا يضاف على أكل البشر. ورأيت فيهم بائع الحبوب المخدرة التي تفتك بشبابنا، ورأيت فيهم المتسول الذي يعتمد على هيئته القبيحة ليبتز من يقابله من الناس.

وعالم الأوباش أقرب إلى الظهور والفضائح أكثر منه إلى الستر والتحفظ، فهو عالم ضجيج وصخب وصياح وصوت جهوري، بداع وبدون داع .. فمن الطبيعي جدا أن ترى رجلا وزوجته يناقشون مشاكلهم الزوجية أو العائلية أثناء سيرهم في الطريق بصوت جهوري يسمعه المارة بوضوح، وليس مستغربا أن تجد أسرة في أيام القيظ وقد

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فرشت متاعها أمام باب الدار على قارعة الطريق، وجلس الجميع للعشاء والاسترخاء على مرأى ومسمع من المارة، ويا حبذا لو وُضع التلفاز وطال السهر والسمر.

وفي عالم الأوباش يغيب الحلم –بل لا وجود له أصلا– فتتفجر الأزمات على أتفه الأسباب، وقد تنشب الشجارات بين الكبار لسبب تافه بين الأبناء الصغار، ولغة الحوار معدومة تماما، بل التشابك بالأيدي أقرب الحلول لمعالجة المواقف، ومن السهل أن تتصعد الأمور وتحضر الشرطة وتتأزم المواقف أيام وأشهر بل وسنوات في قاعات المحاكم، أما لغة الغاب فهي حاضرة بصورة متفاوتة، فالقوي لا يرحم الضعيف، وقد ينسحب الضعيف من الموقف حتى يجمع أقرانه وأقاربه ليستقوي بهم، ويعود لتكون له صولات وجولات.

والسلاح على كافة أنواعه لا يغيب عن عالم الأوباش، يحمله الصغير قبل الكبير، بل ويتفننون في أنواعه وأسمائه وتجهيزاته .. رأيت يوما أحد تجار المخدرات وقد نشبت معركة بينه وبين طائفة كان لها غلبة الموقف لكثرة عددهم، فما كان من هذا التاجر إلا أن انسحب إلى داره وأغلق بوابته الحديدية بإحكام ثم صعد إلى الطابق العلوي وقد كان عامرا بزجاجات فارغة، وأخذ هذا المحارب المغوار بإرسال وابل من قذائف الزجاجات على خصومة الكُثُر، ولا أستطيع أن أصف لك بشاعة الموقف، فأي زجاجة أصابت شخصا تهشمت على رأسه وأصابته بجروح بالغة وعديدة، أما من أفلتت إلى الأرض فتناثرت لآلاف القطع الزجاجية الجارحة التي استحال معها المشي في الشارع لأيام.

والأوراق في عالم الأوباش مبعثرة لأقصى درجة، فالحياة لا تعرف الترتيب ولا التخطيط في كافة جوانبها، شعارهم «اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب»، فالأوباش لا يحسبون لتقلبات الأيام حسابا، بل نظرهم دائما تحت أقدامهم، والمتعة الآنية أقصى غاياتهم، حتى إذا ولى الشباب وتغير الحال وجدتهم أبأس الخلق، وأشدهم نقما على مجتمعاتهم، ونقدا لأحوال الميسورين منهم لأنهم لا يساعدوهم في محنتهم .. دخلت يوما المسجد للصلاة وبعدما فرغنا منها، قام مسن سبعيني رث الحال وقال: يا مسلمين أغيثوني، فأنا أخوكم في الدين، وأخرج بطاقة هويته الشخصية

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مدللا للحاضرين على إسلامه .. فتعجبت منه أشد العجب، وقد كنت أعرفه في شبابه لا يرى إلا حظوظ نفسه، ولم يعطف على فقير قط، فأين دينار الشباب الأبيض الذي ينفع في فقر الشيخوخة الأسود؟!

والحياة الزوجية في عالم الأوباش لا تحكمها إلا الشهوة واللذة، فبدايتها لابد عن تكون مع زوجة فاتنة، الجمال شرطها الأوحد، حتى ولو كانت سيئة السمعة أو رديئة الخلق أو أي شيء آخر، بل إن الجمال هو العملة التي تحدد ثمن الرجل المتقدم، فالجميلة بطبيعة الحال لا ترضى إلا بالكسيب الذي يضمن لها رغد العيش، بصرف النظر عن أي اعتبارات أخرى .. منظر لافت تجده كثيرا في هذه المناطق، حيث الخطيب وقد أخذ بيد خطيبته ويسيرا في الشارع للنزهة، وقد عرضت العروس كل مفاتنها ولم تدخر منها شيء ممكن أن يبدو للناظرين، والعريس في غاية فخره واعتزازه، وكأن لسان حاله يقول: قدري كبير، ناسب أن أظفر بفاتنة عصرها وفريدة جمالها.

أما تعدد الزوجات فهو أمر شائع بين هذه الفئة، لا لعفة نفس، ولا لكثرة نسل، بل لمجرد المتعة وحب التنوع وكسر الملل، حتى ولو كثر العيال الذين يحتاجون لرعاية أكثر وتربية أشق، وهذا التعدد يتم ببساطة لأن عملية التربية تكاد تكون معدومة، فالطفل في هذه المجتمعات لا يعرف من الرعاية إلا القدر اليسير، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، والآباء غارقون في أنانيتهم، خاصة رب الأسرة، وتلك الأسر لا تعرف من الطفولة إلا توريدها للعمل بالورش والمصانع في سن مبكرة، مما يعد جريمة في كافة الأعراف والقوانين الدولية.. أذكر أنني التقيت يوما بطفلة في سن الروضة، وسألتها السؤال التقليدي عن طموحاتها وماذا ترى أن تعمل لما تكبر، فأجابت: أريد أن أكون خادمه!!!!! وقعت الإجابة على نفسي وقع الصاعقة، خاصة وأنها كانت إجابة فريدة من نوعها لم أسمعها من قبل، وأظن أني لن أسمعها بعد.

التربية أولا

الكلام عن مجتمع الأوباش ليس من قبيل حكاية الأساطير أو التندر بالغرائب، خاصة وأنه مجتمع منتشر وبكثافة في منطقتنا العربية والإسلامية .. إنه عالم أشبه

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بقنبلة موقوتة يمكن أن تنفجر في الكل، انفجارا لا يبقى ولا يذر، لأننا نتعامل وقتها مع من لا يملك شيئا يخشى أن يفقده، وهذا من أصعب وأخطر أنواع التعامل.

تلك العوالم لا تنفع معها عصى السلطة الغليظة ولا القوانين الصارمة، لأن التحايل على مثل هذه الأمور فن هم من ابتدعوه وأتقنوا مفرداته، بل لابد من إعادة تأهيل تلك المجتمعات بالاعتماد على برامج تربوية متخصصة .. نعم التربية أولا وثانيا وثالثا .. التربية الطريق الأوحد والأنجع الذي لا طريق غيره.

فالتربية قادرة على إحاطة أفراد هذه المجتمعات بسياج فضائلي وقيمي يحميها من نفسها ابتداء ومن البطش بغيرها في ذات الوقت، وإذا نظرنا لتجربة أي دولة متحضرة نجد أن قضية التربية كانت على رأس أولوياتها، بل إن القرآن الكريم الذي يذخر بفنون التربية الربانية الفريدة كان هو الكفيل بنقل العرب من جاهلية موحشة إلى أمة راقية.

والتربية إن لم ترتكز على أسس إسلامية وعقدية صافة صارت جسدا بلا روح، وصارت خالية من معاني المراقبة والخشية والإنابة والتوكل واليقين .. وغيرها من عبادات القلب والجوارح التي هي أجل مقاصد التربية التي تضمن لها ثمرة يانعة تدوم أبد الدهر.

أما التربية القائمة على النظريات والفرضيات فهي أشبه بنوع من التوجيهات الجافة التي لا نضارة فيها، كما هو مشاهد في كثير من الدول الغربية العلمانية التي تنتاب مناهجها التربوية الرغبة في منافع مادية آنية لا علاقة لها برحلة الإنسان المديدة في الدنيا والآخرة .. مناهج تربوية تفهم الحرية –مثلا– على أنها مطلقة بشرط أن لا تضر بالآخرين لا أكثر ولا أقل، فاستباح الفرد في ظلالها الكئيبة الزنا وشرب الخمر وإدمان المخدرات والتعامل بالربا، بل واستعمرت البلاد القوية منها البلاد الضعيفة وسرقت ثرواتها واستنزفت مواردها في تاريخ استعماري مخزي لكل الدول الاستعمارية الغربية.

إن تلمس الثواب واستشعار رضا الرحمن يثير في سلوكياتنا نبض إيماني يجعل صاحبه يتفاني في إسعاد نفسه وقومه في العاجلة والآجلة، ويجعله يرى بنور الله الذي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أعلنها صراحة في كتابه الكريم: {يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً}[النساء:٢٦-٢٧] {مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً}[النساء:١٤٧]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الوظيفة الحكومية .. بر أمان الكسلان

قالوا الكثير والكثير عن مميزات الوظيفة الحكومية .. منها، «الأمان الوظيفي»: ففي ديوان الحكومة يصعب فصلك حتى لو كنت مهملا أو متهاونا في دوامك، أو تقديرك السنوي ضعيف، أو حتى مرتشيا، هذا بعكس القطاع الخاص الذي قد يكون فصلك لمجرد كلمة أو تصرف غير مقصودين منك ولم يعجب صاحب العمل، أو حتى يمكن الاستغناء عنك لأن أقدميتك كبيرة ومرتبك تضخم لدرجة أنه يستوعب رواتب عدة شباب جدد أكثر حيوية وانطلاقة وانجازا، أو ربما تغادر ليحل أحد المعارف أو أقارب صاحب العمل بدلا منك، أو حتى بدون سبب يذكر لمجرد التقليل من العمالة أمام إغراءات الربح وسطوة الآلة التي تختصر الوقت والجهد.

وفي الوظيفة الحكومية نوعا من «الاستقرار المادي»: فآخر كل شهر يحصل الموظف على راتبه دون النظر –مثلا– لتقلبات السوق أو الكساد في بعض الفترات. ولا يفوتنا راتب التقاعد الذي تمتاز به الوظائف الحكومية، والذي إذا ما قورن براتب تقاعد وزارة التأمينات التي تفرضه للقطاع الخاص نجد الأخير فتات أو أقل من الفتات. والأمر ينسحب على مميزات التأمين الصحي والبدلات والمكافآت والبعثات...

وفي الوظيفة الحكومية ساعات العمل أقل، والإجازات مريحة جدا، والترقيات مضمونة، حتى ولو كان مستوى المهني متواضع، لأن الأمور تحسب غالبا بالأقدمية أو ربما المحسوبية والواسطة، وفي بعض الأحيان بالرشوة، والفائز من يدفع أكثر.

ولا ننسى الكارثة العظمى والفادحة الكبرى التي تحل بالأسرة إذا مرض رب الأسرة مرضا عضالا، أو مات، وهو حرفي ليس بصاحب وظيفة حكومية، خاصة في كثير من دولنا النامية، حيث نستطيع بحق أن نقول بأن هذه النوعية من الأسر تعيش محنة حقيقة، ومأساة إنسانية، في ظل غياب نظام اجتماعي تأميني رسمي يشمل هذه الأسر الضائعة، حيث تضطر الأم المسكينة أن تواجه مصاعب الحياة وتخرج لسوق

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

العمل وهي خالية الوفاض من أي حرفة تساعدها، فلا تجد إلا المهن الشاقة والمبتذلة كالعمل في الأراضي الزراعية أو المصانع أو حتى خادمة في البيوت، وقد لا تساعدها صحتها على هذه المعاناة فتدفع بصغارها لمعترك الحياة في ظاهرة تعرف بأطفال الشوارع أو عمالة الأطفال الأبرياء.

لكن دعونا نوسع دائرة الرؤية شيئا قليلا، ونخرج عن نطاق مصالحنا الشخصية، خاصة وأننا نتكلم عن «قضية وطنية عامة»، الأمر الذي يستحيل معه على أي نظام حكومي استيعاب كل الأيدي العاملة في القطاع الوظيفي، ثم إذا قمنا بتقييم أداء هذا القطاع في منطقتنا العربية نستطيع أن نخرج بحقيقة مفادها أن العمل الوظيفي الحكومي نوع من «البطالة المقنعة» التي لا تعني إلا بالإنجازات الوهمية، تبدو من أول وهلة لو قارنا أي من القطاعات الحكومية بمثيلاتها من القطاع الخاص.

فيكفي –مثلا– أن تدخل أي شركة استثمارية خاصة، لتتعرف على الجانب المشرق للأداء الإنساني، فالموظف على مكتبه، يستقبلك ببشاشة، ويلبي طلباتك في أقصر وقت ممكن على أجود حال، بل وقد يعرض عليك العديد من الخدمات والمميزات التي تقدمها شركته في محاولة لجذب أكبر عدد ممكن من العملاء، هذا فضلا عن الصبر على استفساراتك، واستخدام أحدث الوسائل التقنية في تلبية رغباتك، والمكان النظيف والمريح والأنيق ..

ومن عدة سنوات قامت شركة **IBM** الشهيرة بتخصيص مبلغ ٥٠ مليون دولار لطرح برامج توازن بين حياة الموظف وبين وظيفته، وكان أحد هذه البرامج هو العمل بالإنجاز أو مؤشرات الأداء وليس بالحضور إلى مكاتب المؤسسة، فلا يهم المؤسسة إن كان الموظف على مكتبه في الوقت المحدد أم لا، وكل ما يهمها هو أن ينجز عمله في الوقت المحدد، حتى أصبح أكثر من ٤٠% من موظفي **IBM** يعملون اليوم خارج مكاتب الشركة، سواءً من منازلهم أو من مقاهي الإنترنت أو أي مكان في الدنيا.

هذا في الوقت الذي تجد في القطاع الحكومي اصطدام قاس بالروتين العقيم والنظام الدفتري الغاشم، وحتى لو وجد جهاز كمبيوتر فهو إما شبكته ساقطة أو معطل،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وبانتظار مشرفي الصيانة من أيام، ومشرفي الصيانة بانتظار المخازن لتصرف لهم قطع الغيار، والمخازن بانتظار إدارة المشتريات لسد العجز في النواقص.. والموظف المسئول ربما في التأمين الصحي، وينصحك مديره بالحضور لمقابلته غدا دون أن يكلف زميله بالقيام بمهامه، وإن وجدت الموظف فهو مكفهر الوجه مقتضب الجبين، وربما انتظرت فترات حتى يكمل إفطاره أو يطالع الجريدة الصباحية أو ينتهي من الحديث مع زميله في قضية شخصية ... والكثير والكثير مما لا يجهله أحد.

والقطاع الوظيفي يراه أصحاب الهمم العالية والطموح أشبه بالطوق الذي يقيد الحركة ويفتر الهمة ويقضي على بذور التميز بداخلهم، ولذلك لم يتحمل الفضلاء ولا العصاميون أسر الروتين ولا قيد الراتب المحدود ولا الساعات اليومية المملة دون إبداع يُذكر أو نجاح يُحصد.

يقول العقاد عن تجربته الوظيفية: «إن نفوري من الوظيفة الحكومية في مثل ذلك العهد الذي يقدسها كان من السوابق التي أغتبط بها وأحمد الله عليها.. فلا أنسى حتى اليوم أنني تلقيت خبر قبولي في الوظيفة الأولى التي أكرهتني الظروف على طلبها كأنني أتلقى خبر الحكم بالسجن أو الأسر والعبودية.. إذ كنت أومن كل الإيمان بأن الموظف رقيق القرن العشرين»

ويقول: «ومن السوابق التي أغتبط بها وأحمد الله عليها أنني كنت فيما أرجح أول موظف مصري استقال من وظيفة حكومية بمحض اختياره، يوم كانت الاستقالة من الوظيفة والانتحار في طبقة واحدة من الغرابة وخطل الرأي عند الأكثرين، بل ربما كانت حوادث الاستقالة أندر من حوادث الانتحار .. وليس في الوظيفة الحكومية لذاتها معابة على أحد، بل هي واجب يؤديه من يستطيع، ولكنها إذا كانت باب المستقبل الوحيد أمام الشاب المتعلم فهذه هي المعابة على المجتمع بأسره، وتزداد هذه المعابة حين تكون الوظيفة ـ كما كانت يومئذ ـ عملا آليا لا نصيب فيه للموظف الصغير والكبير غير الطاعة وقبول التسخير، وأما المسخر المطاع فهو الحاكم الأجنبي الذي يستولي على أداة الحكم كلها، ولا يدع فيها لأبناء البلاد عملا إلا كعمل المسامير في تلك الأداة».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فالوظيفة الرسمية عندنا في أغلب الأحوال، وسيلة لغاية محددة، تتمثل في أداء مهمات محددة، تحكمها الأنظمة واللوائح، وليست وسيلة لإنتاج الأفكار المبدعة لتطوير المجتمع وتقدمه وفق استراتيجيات عليا تكاملية، ولذلك نجد أن تنمية المواهب في المؤسسات التعليمية الرسمية أمرا ثانويا أن لم يكن معدوما، وبالتالي فلا غرابة أن تكون الأساليب التعليمية أكثر تخلفا، تعتمد على التلقين لا على التجريب، وتنعدم عوامل تشجيع الإبداع والتفكير المبدع وتفجير طاقات قوى العمل والإنتاج، وهذا أمر ثابت وسبب رئيس من أسباب تخلفنا.

وهكذا يبقى الشباب العربي حائرا بين: أمان الوظيفة الحكومية، ومميزات القطاع الخاص رغم مخاطره، فالمغامرة في العمل الحر قد تكون وخيمة العواقب، خاصة في مجتمعات أغرقتها كل المنتجات الغربية بأقل تكلفة وأجود مستوى، وصار الفرد لا يجد في سوق العمل الخاص موضع قدم إلا بشق الأنفس.

ولذلك يبقى الزمام كله في أيدي القيادات الرسمية التي عليها دورا كبيرا جدا في رعاية كافة المشاريع الإنتاجية الخاصة، وأن لا تبخل عليها بالدعم المادي والعلمي، ونظام رعاية اجتماعية لأفرادها يتساوى تماما مع النظام الحكومي من حيث الأجور ورواتب التقاعد والتأمين الصحي وسائر الخدمات الاجتماعية.

أما النقابات العمالية فدورها لا يقل أهمية عن دور القيادة الرسمية، في حراسة حقوق العمال من استبداد أصحاب العمل، مع دورها الفعال في رصد مشاكل العمالة، وبذل الجهد في تذليلها وحلها.

والمحصلة أن الأمل معقود على القطاع الخاص في جذب المواهب وتنمية القدرات وتسريع عجلة الإنتاج والمنافسة مع المنتجات العالمية ... لكن كل هذه الإنجازات وأكثر لن يكتب لها النجاح إلا إذا تلاشت المخاطر وتساوت المميزات مع القطاع الوظيفي .. عندها سيزهد الصفوة في السجن الوظيفي، ويطلقون العنان لمواهبهم وقدراتهم وطموحاتهم في كنف إمكانات القطاع الخاص، وسيقتصر التوظيف في القطاع الحكومي على الكسالى الذين يؤثرون الغطيط في نوم الخمول.. فمتى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يتحقق ذلك الحلم الغالي في بلادنا، ونرى المواطن إذا سئل عن مهنته يرد على استحياء بأنه .. «موظف حكومي»!!

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

صداقة الإنسان للآلة

في أحد الأيام أصيب جهاز الكمبيوتر الخاص بي (لاب توب) بفيروس أفقده العمل وشوش أدائه، وتعقد الأمر حتى أن هذا العطب أخذا أياما حتى استطعت –بعون الله تعالى– التغلب عليه، ولا أستطيع وصف المعاناة مع برامج فحص الفيروسات، والملفات التي ضاعت، والأخرى التي احتاجت إلى إعادة صياغة .. كل هذا الجهد المضني وأنا تمر علي الساعات ثقيلة، ونفسيتي متوترة، لدرجة أن ضغط دمي ارتفع واضطررت لتناول عقار كي يعود لطبيعته، فحياتي انقلبت رأسا على عقب عندما فقدت قريني، حيث ابتعدت عن مهامي التي تعودت على إنجازها، وحرمت من مواكبة الأحداث الهامة من مواقع النت المفضلة لدي، وانقطعت صلتي بأقربائي وأصدقائي الذين كنت أتواصل معهم عبر برنامج المحادثة.

موقف مشابه حدث مع أحد معارفي، حيث تعطلت سيارته وامتنع المحرك عن الدوران أيام عديدة، فتبعثرت حياته التي تعتمد بشكل أساسي على السيارة، وشاهد صاحبنا المعاناة بكل درجات اللون الأسود في توصيل الأولاد لمدارسهم وذهابه اليومي للعمل والتسوق وإحضار أغراض المنزل ولوازمه المختلفة، وأصيب صاحبنا بضغط الدم المرتفع أيضا وراجع الطبيب لكي يدرك أمره لحين إصلاح السيارة المتمردة.

مثل هذه المواقف كثيرة في حياتنا، فتصور معي –مثلا– لو خرجت من المنزل ثم فوجئت أنك نسيت هاتفك الجوال .. كم ينتابك من مشاعر الأسى وأنت تسير بالشارع مقطوع عن الأسرة بالدرجة الأولى وعن أحداث العمل أو الأحداث العائلية .. تسير بشعور الفاقد للتواصل مع محيطك الذي ربما يصل في بعض الأحيان للقلق، خاصة إذا احتجت للاطمئنان على ولدك المريض أو معرفة أي أغراض تحتاجها الأسرة كنت ستحضرها في عودتك ...

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقريب من هذا الموقف ضياع جوالك المتخم بعشرات الأرقام الهامة في حياتك، أو تعطل جهاز التكييف في قيظ الحر، أو توقف المصعد بالنسبة لمن يسكنون بالدور العاشر وما فوقه.. والأمثلة كثيرة.

هذه المواقف وأمثالها العديدة تبرهن بدرجة كبيرة على أن حياتنا تغيرت بالفعل، فليست تلك الحياة التي عشناها في طفولتنا وشبابنا، وأهم حدث في هذا التغير المعاصر هو «صداقة الآلة» ولا أقول «سيطرة الآلة»، لأن مصطلح «سيطرة الآلة» ظهر مع بزوغ فجر الثورة الصناعية الحديثة، حيث اعتمد الإنسان بشكل أكبر على الآلة في كافة مناحي الإنتاج المكثف، وألقى عليها وحدها عناء العمل، وجعلها تعمل بدلا منه، واكتفى هو بمراقبتها وصيانتها حال عطبها.

أما الآن فالأمر قد اختلف أو تطور الأمر لأبعد من هذه العلاقة السلطوية .. إنها علاقة صداقة وليست سخرة، علاقة تظلها نوعا من الحميمة أو النفعية خارج إطار المكسب المادي الذي ينشده أي صاحب مصنع من آلاته.

فجهاز الكمبيوتر يفكر معك، ويفتح لك آفاق المعرفة، ويساعدك في تحليل المعطيات واستخلاص النتائج، فضلا عن توفير الوقت والجهد في كافة مناحي الحياة من التحكم في الآلات وحتى تنظيم حياتنا الخاصة.

وجوالك صار شريان من شرايين حياتك غير تلك الشرايين التي يجري فيها دمك وتصلك بروحك الغالية .. إنه شريان يصلك بالعالم أجمع في بلدك وفي غير بلدك وإن بعدت أماكنها ونأت أطرافها، ويصلك بمن تريد وفي أي وقت تريد، ويكف عنك عناء أن تذهب إليه وربما لا تجده .. ناهيك عن تصوير ذكرياتك الجميلة، وتسجيل الأحاديث المستطابة، وتخزين ما تحتاجه من بيانات هامة .. وغيرها من المنافع التي لا يجهلها أحد.

لكن هل باتت الآلة «الخل الوفي» الذي استحالت البشرية طيلة عمرها أن تجده، حتى بات من المستحيلات الثلاث.. بالطبع الأمر لا يصل إلى هذا الحد، لأن هذه الآلة الصديقة هي مثل أي صديق آدمي، منه الصالح ومنه الطالح، منه حامل المسك ومنه نافخ الكير.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

نعم .. لهذه الآلة وجه آخر كالح، يفسد أكثر مما يصلح، ويضر أكثر مما ينفع، وما مآسي الكمبيوتر والجوال بخافية على كل ذي لب، فالمواقع الإباحية لا تفتر عن الإضلال والغواية، والعلاقات المحرمة صارت أسهل بفعل المحادثات المشبوهة، فضلا عن السرقات والقرصنة الالكترونية، وحدث ولا حرج عن أضرار هذه الآلات الصحية على أبداننا من تأثيرات على العين والظهر وكهربة المخ .. وربما ما هو قادم أسوأ.

حقا الآلة صديق كما أي صديق، علينا أن نستفيد من خيرها، ونتجنب شرها، وهذا يتطلب منا معرفة جيدة بإيجابياتها وسلبياتها، فالمعرفة تزيل الغشاوة، وتحقق أقصى حدود النفع للبشرية، وتحميها من مواطن العطب، وتحسن اختياراتها، وتصقل تجاربها مع الناس ومع الآلة الصديقة الجديدة، ولذلك نستطيع أن نقول أننا في عالم صار البقاء فيه للأعلم، فسلطة المعرفة في هذا العصر لا تدانيها أي سلطة، ولا حتى سلطة السلاح أو المال، وكما كان يقال قديما أن «العالم لا مكان فيه للضعفاء»، صار يقال حديثا أن «العالم لا مكان فيه للجهلاء».

وصدق العلي الكريم حيث يقول في محكم التنزيل: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [الأنعام:١٢٢] فكنى عن العلم بالحياة، وعن الجهل بالموت، والهمزة للاستفهام المستعمل في إنكار تماثل الحالتين، كقوله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ} [الرعد:١٦]

يقول ابن القيم –رحمه الله–: وقوله {وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} يتضمن أمورا: (أحدها) أنه يمشي في الناس بالنور وهم في الظلمة، فمثله ومثلهم كمثل قوم أظلم عليهم الليل فضلوا ولم يهتدوا للطريق وآخر معه نور يمشي به في الطريق ويراها ويرى ما يحذره فيها. (وثانيها) أنه يمشي فيهم بنوره فهم يقتبسون منه لحاجتهم إلى النور. (وثالثها) أنه يمشي بنوره يوم القيامة على الصراط إذا بقى أهل الشرك والنفاق في ظلمات شركهم ونفاقهم [التفسير القيم ١/٤٥٠]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

إن من فقه الأريب حسن توظيفه لكل ما يملك من عمر وثروة وجاه وآلة .. يستفيد من خيرها، ويحيد عن شرها، ومن رزقه الله تعالى تلك الفطنة فقد حباه بمجامع الخير كله: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} [البقرة٢٦٩]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كم سعر كيلو الكباب الآن؟!!

دخلت أعوده ودار الحديث بيننا –كعادة كل المصريين– عن مدى المعاناة التي لاقاها صديقي المريض في مستشفيات الحكومة ومدى الإهمال والاستهتار، الأمر الذي لجأ معه لعيادة الطبيب الخاصة حيث يأخذ العذاب منحى آخر .. عذاب مادي مقابل الخدمة المتميزة، وسرعان ما أسرعت يد صديقي إلى كيس العلاج بجواره وأخرج الروشتات ذات الأسعار الفلكية التي فاقت حدودها كل وصف وعقل.

كان ردي تقليدي بأن سلامتك بالدنيا، وأن المال يروح ويأتي، ثم دعوت له بالشفاء ووجدتني أداعبه وأواعده أنه حين تماثله للشفاء له عندي «كيلو كباب» فإذا بصديقي المتعب تتهلل أساريره وتبرق عيناه لهذا العرض المغري، وأحسست أن الدعابة وقعت منه موقع الجد، فخرجت من عنده وأنا أتهيأ لشراء كيلو كباب قريبا .. تلك الوجبة الأغلى والأفخم في مصر.

كان لزاما علي أن ألم بخيوط مشروع شراء الكباب، لأن الكباب في حياة المصريين الحاضر الغائب، فبدأت أسال كل من أعرفه ويجمعني به لقاء عن: سعر كيلو الكباب الآن؟ وفوجئت أن كل من سألتهم قاطبة لا يعرف!! .. نعم الجميع لا يعرف، الغني والفقير، المثقف والجاهل، المدني والقروي .. وكانت دهشة مروعة ونادرة فريدة، ما هونها علي إلا أنني أنا شخصيا لا أعلم كم وصل سعر كيلو الكباب الآن.

لكن ترى هل قاطع المصريون الكباب .. الواقع يشهد بغير هذا، فمحلات الكباب تتناثر هنا وهناك، بل أنا في مدينتي المصرية العريقة عندنا شارع خاص لمحلات الكباب التي تعمل ليل نهار وعلى مدار الساعة، وكل حظي منها أنني إذا سرت فيها أشم رائحة دخان الشواء التي يسيل له لعاب الشبعان قبل الجوعان.

لكنني تنبهت الآن أنني ما فكرت يوما أن أدخل لأحد هذه المحلات وأتناول وجبة كباب لعلمي أن العاقبة ستكون كارثة مالية وخيمة، بل يمكن أن لا أجد في جيبي ما يغطي تكاليف هذه الوجبة التي لا أعرف منها سوى أنها غالية أو باهظة الثمن.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بل لا أتذكر أنني أكلت الكباب من عند الحاتي إلا مرة واحدة .. كان طلبا بالهاتف من أحد محلات صديق لي، وكان على سبيل المجاملة لا رغبة في استنزاف راتبي بوجبة لا قبل لي بها.

هذا وإن كان هذا حالي مع الكباب، فأستطيع أن أؤكد أن هذا حال أغلب المصريين الذين يعاني أكثر من نصفهم من وقوعهم تحت مستوى خط الفقر.

لكن أعود لإشكالية وجدلية الكباب التي لم تنتهي، فإذا كنت أمثل شريحة عظيمة من فقراء المصريين، فهذا لا يعني أن مصر ليس فيها أغنياء، بدليل انتشار هذه المحلات التي تشوي لحم الكباب صباح مساء، بل وصل الأمر لبعضها لأن يكون لها بصمة في تحضير الكباب، حتى بات عشاق الكباب يتباهون بأنه أكل كباب من محل فلان أو مطعم كذا، كدليل على الفخامة والجودة.

وهل كل معارفي أجمعون –على تنوعهم وكثرتهم وتعددهم– فقراء معدمون .. بالطبع «لا» ففيهم أثرياء وآخرين من ذوي الثراء الفاحش.

إذا لماذا أنكر الجميع (فقير/غني) صلته بالكباب، وجهله بسعر الكيلو منه؟!

ولمن تبيع هذه المحلات التي لا ينقطع دخانها طيلة اليوم وعامة الليل؟!

لقد فشل الفقير في الجواب لفقره وهذا معلوما منطقيا وعقليا وواقعيا، أما الغني فأنكر صلته بالكباب خوفا من «الحسد» .. نعم، المصريون من أشد الشعوب خوفا من الحسد، حتى بات البعض يخاف من الكل، ولو تجددت لأحدهم نعمة فأول شيء يفعله إجراءات الحرص كي لا ينكشف أمره، بل لو وقع أحدهم في ورطه وقلت له: «أنت محسود» لسارع في تأييد رأيك، وربما هو فقير معدم أو جاهل أمي ولا يملك أي مقومات ليحسد عليها، ولكنه الإيمان الأعمى بالحسد، رغم أن الكبوات قد تكون من الزلات والتقصير .. قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠]

ولا يرضى الغني أن يشاركك الحديث عن الكباب –مثلا– إلا بعد أن تقدم له تجاربك الشخصية مع محلات الكباب وتنوع خبراتهم في أعداه .. حينها يطمئن لك، وتجده دون أن يشعر يشاركك الحديث عن مغامراته في هذا الأمر.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

إن المناخ العام في مصر لمن أعجب العجب، فالمصريون يسمون شريحة الفقراء بالجرابيع والأغنياء بالباشوات، ومثار العجب ان كل شيء متوفر، الفول والطعمية للجرابيع، والزبد والعسل للباشوات، لحوم مستوردة تباع بنصف ثمنها تجدها وهي معلقة كالكلب الميت وهذه للجرابيع، ولحوم بلدية وردية محفوظة في ثلاجات عرض باهرة وهذه للباشوات .. في مصر يقف الجرابيع طوابير في كافة المصالح الحكومية لقضاء مصالهم والباشوات يقضون مصالحهم بالهاتف، وفي مصر مدارس ومستشفيات ومطاعم للجرابيع، وأخرى تضاهي المستوى الأوروبي للبشاوات.

ثم أعجب من هذا، أن الجرابيع لا يمتعضون ولا يتبرمون ولا ينتفضون، بل يقضون حياتهم بأريحية وتلقائية منقطعة النظير.

وأعجب من هذا وذاك أن الجرابيع مولعون بالخضوع للباشوات، وينزعجون من الحرية انزعاج الفأر من القط .. فقتلوا بعضهم البعض، وخرجوا يتغنون بالدماء في أنشودة .. «تسلم الأيادي»!!!!!

فلك الله يا بلادي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مـن الذي بـاع .... ؟!

فـي خضـم النكبـات التـي تتـوالى علـى الأمـة الإسـلامية واسـتمرار نـزف الجـرح الإسـلامي الغـائر، يثـر فـي الـنفس الأسـى والحـزن هـذا الاسـتمرار الغريـب مـن بعـض الإذاعـات العربيـة والجرائـد العلمانيـة فـي الهجـوم . وبشراسـة . علـى مـا يسـمونهم الإسلاميين والأصوليين متهمين إياهم بالاندفاع والتهور والتزمت الذي أجهض عملية السـلام، وبـاعوا بسـبب تصـرفاتهم الهوجـاء كـل شـيء حتـى أمـن وسـلامة إخـوانهم فـي العروبة والنضال

والعجيـب فـي هـذه الحمـلات المسـعورة أنهـا تصـدر مـن هـؤلاء الـذين أعمـى الله بصائرهم وصار ينطبق عليهم المثل العربي القديم (رمتني بدائها وانسلت) ومن هذا المنبر الحر لا يسعني إلا أن أوجه سؤلا واحدا لأصحاب هذه الأبواق ....من الذي باع ؟!

والتاريخ وحده هو الكفيل بالرد على هذا السؤال، فقراءة الأحداث بإنصاف هي الطريق الوحيد الآمن الذي يوصلنا في خضم هذه الإشكاليات إلى الحقيقة المجردة دون أدنى محاباة لفرقة أو طائفة معينة.

فلقـد بـاع العلمـانيون والقوميـون والبعثيـون والشـيوعيون ... ومـن علـى شـاكلتهم القضية الإسلامية يوم أن باعوا عقيدة الولاء والبراء التي يتحلى بها كل مسلم صادق العقيدة ورضوا أن تصافح أيديهم أيدي من خضبوها بدماء الأبرياء من المسلمين.

بـاعوا القضـية يـوم أن بـاعوا ديـنهم وداروا فـي فلـك الأعـداء وخـدعونا بشـعارات الحرية والإخاء والمساواة والأمن والسلم الدولي وحقوق الإنسان المزعومة، وبسياسة المفاوضات والمباحثات والمعاهدات والاستنكارات التي لم توصلنا إلى شيء يذكر، ولم نجن منها إلا كل وهن وألم ومعاناة تلو المعاناة، وما زالت القضية الإسلامية في رحاب سياستهم تزداد ضعفا ووهنا، والأعداء يزدادون شراسة ووقاحة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

باعوا أعمارنا وأوقاتنا وجهادنا في مفاوضات لا طائل تحتها كالذي يدور في حلقة مفرغة، وكم خدرونا بوعود كاذبة أن الحرية قادمة، والرخاء سنغرق فيه حتى الركب، وأن العالم بأسره يتبنى قضية السلم والتعايش الدولي، فإذا الوعود سراب وإذا المجتمع الدولي لا يعرف إلا منفعته ومصلحته وإذا القانون الدولي أكذوبة ضحكوا بها على السذج من أبناء جلدتنا.

باعوا قضية الأمة كلها عندما باعوا ضمائرهم بحفنة من الدولارات وأنا أطالب قنواتهم الفضائية التي تهتف بأمجادهم صباح مساء أن تصوب كاميراتها في إرجاء قصورهم ودورهم ليرى الجميع عيشة الرخاء والبذخ التي يعيشها هؤلاء في الوقت الذي تنتهك فيه أعراضنا وديارنا ومصادر رزقنا، كما أطالب إذاعاتهم أن تفتح الحوارات الصريحة حول أرصدتهم في البنوك الأجنبية ورحلاتهم على شواطئ الريفيرا الفرنسية وفي الريف الانجليزي، كل هذا ليعلم الجميع على ماذا يكون هؤلاء.

باعوا القضية يوم أفلسوا ولم يقدموا لأبنائها سوى كلمات رنانة من مواقعهم الآمنة ومناصبهم المحصنة، وإلا فمن منهم ذاق مرارة سنوات الاعتقال في سجون الأعداء، ومن منهم فقد ابنه أو زوجه أو حتى نفسه إثر القذف العشوائي لديارنا، ومن منهم حمل هم الأمة ونكباتها حتى يوصف بما وصف به الأعداء أبناء الأمة الشرفاء من التزمت والتعصب والأصولية وغيرها من المفتريات.

وفي النهاية لا ينبغي أن يظن بنا أحد أننا نؤيد سياسة التخريب والتدمير وسفك دماء الأبرياء فلزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم، كما ينبغي أن يعلم أعداء الأمة الإسلامية كافة الذين لا يرقبون فينا إلا ولا ذمة أن دماء أبنائهم ليست بأغلى ولا أعز من دماء أبنائنا، وأعراض نسائهم ليست بأقل حرمة من أعراض نسائنا، وأن الأمن والسلام كما هو لهم ينبغي أن يكون لنا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وتركته يلقى مصيره

في الكرسي المقابل من عربة القطار جلس أمامي في زهو وغرور أنساه أبسط قواعد الإسلام في إلقاء السلام .. أخذت أتفحصه، فإذا هو شاب في قرابة العشرين من عمره، له هيئة تنم على تمتعه بصحة جيدة وأحوال معيشية مرضية، فالعضلات مفتولة، وبشرة الوجه صافية لم ترتسم عليها بعد خطوط المحن وآثار الأيام، والهندام منمق يدل على عناية فائقة في الاختيار، وذوق رفيع يظهر من تجانس الألوان وتناسقها، ولذلك كانت نفخة الكبر التي طغت عليه لها دوافعها ومبرراتها، ولو من وجهة نظره هو بالطبع.

أحسست أنني وجدت ضالتي في هذه الرحلة الطويلة نسبيا، وقررت أن أستفيد من طول الوقت في نوع من أنواع التجارة مع الله تعالى، بالدعوة بالتي هي أحسن، بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا أقل واجب يفرضه علي إسلامي، ويفرضه علي أنني من خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ويا لها من فرحة لو فزت بثواب هدايته، ورده إلى جادة الصواب.. إنها جائزة أفضل من حمر النعم.

وفي جرأة حاولت أن أفتح الحديث معه، ودار الكلام حول سؤال واحد: لماذا بغض الإسلام الكبر وأهله؟ .. وفي حوار خلا من التوجيه المباشر والمواعظ الرنانة، أخذت أشرح وجه نظر الإسلام في هذا الموضوع ــ على قدر استطاعتي ــ وكان مما قررته أن الله عز وجل هو صاحب الحق الأوحد في الكبر والكبرياء، لأنه تبارك وتعالى يأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقضي وينفذ، ويعز ويذل، ويقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس.. أحاط بكل شيءٍ علما، وأحصى كل شيءٍ عددا، ووسع كل شيء رحمة وحكمة.. وسع سمعه الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.. لا تختلف عليه ولا تشتبه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على كثرة حاجاتها.. لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح ذوي الحاجات.. سواء عنده من أسر القول ومن جهر به، ومن هو مستخفٍ بالليل وساربٌ

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بالنهار.. لا يشغله جهر من جهر عن سمعه لصوت من أسرَّ، بل هي عنده كلها كصوتٍ واحد، كما أن الخلق جميعهم خلقهم وبعثهم عنده بمنزلة واحدة: {ما خلْقُكُمْ ولا بعْثُكُمْ إلا كنفسٍ واحدة} [لقمان:٢٨].. أحاط بصره بجميع السمعيات والمرئيات، فيسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويرى جناح البعوضة في ظلمة الليل.. يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.. له الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة والفضل، وله الثناء الحسن.. له الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله.. لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام.. يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل.. حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.. سبحانه. يمينه ملأى لا تغيضها نفقة.. سحَّاء الليل والنهار، أرأيت ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يُغْضِ ما في يمينه.. لو أن أشجار الأرض كلها من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة بحار، فكتب بتلك الأقلام، وذلك المداد، لفنيت الأقلام ونفد المداد، ولم تنفد كلمات الله، وكيف تنفد وهي لا بداية لها ولا نهاية.. أول بلا ابتداء، وآخرٌ بلا انتهاء.. لا يفنى ولا يبيد.. ولا يكون إلا ما يريد.. لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام.. حي لا يموت.. قيوم لا ينام.. خالق بلا حاجة، رازقٌ بلا مؤنه، مميت بلا مخالفة، باعثٌ بلا مشقة، وهو على كل شيءٍ قدير، وكل شيءٍ إليه فقير.. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

من هذا المنطلق كان كل من تسربل بسربال الكبر فقد سربل نفسه بسربال لا يناسبه، لأنه العاجز الفقير الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا.

وفي سرعة خاطفة انتقلت للنقطة التالية وهي: أن الكبر أكبر معوق للعمل.. إنه المحطة الأخيرة في حياة الإنسان التي يحط بها رحاله، معتقدا أنه وصل إلى الكمال في كل شيء، فيها يرضى عن عبادته رغم قصورها، وعن نفسه رغم سوئها، وعن سائر شأنه، ولا يجد بعدها داعيا للاستزادة من الخير، وفي هذه المحطة يحس أنه قد وفى بشكر جميع نعم الله عليه من بصر وسمع ونطق.. وغيرها الكثير مما يعجز الإنسان –

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

نفسه– عن حصرها، ثم هو بالتالي يستثقل كل محنة تمر به، ولا يجد لها مبررا، وهو ابن الأكرمين المفضل على العالمين.

كان صاحبي ينظر إلى ويستمع لحديثي، ولكن أمارات الاقتناع لم تظهر عليه، فحان وقت انصرافي، وقربت محطتي، فألقيت عليه السلام مودعا، وتركته يلقى مصيره ويغط في بحور كبره.

تركته وأنا حزين لأني لم أظفر بهدايته، وكان يلح علي سؤال واحد: من المسئول عن التوجيه السليم لمثل هؤلاء الشباب الذين لا يعرفون طريقهم؟

هل هو الإعلام، أم وزارات التربية والتعليم، أم المشايخ والدعاة، أم الآباء، أم كل هؤلاء!! .. وهكذا تركته يائسا، لا أطمع أن يصيب من الخير يوما من الأيام.

مرت الأيام سراعا.. لا أدري شهورا أم سنوات.. وفي أحد الأيام، دخلت المسجد لأصلي الجماعة المفروضة، فإذا بصاحبي الذي كان في القطار، وقد جلس في سكون يظهر عليه بهاء العبادة، ويشرق في وجهه نور الإيمان، الأمر الذي أثار فضولي لأن أسال عن سر هذا التحول الجذري في حاله، فإذا هو قد خرج يوما مع رفقاء السوء في نزهة شيطانية بالسيارة، فوقعت لهم حادثة أليمة من جراء السرعة الجنونية، فقد صاحبي على إثرها رفقائه كلهم، ونجا هو بأعجوبة، فأيقظته تلك الكارثة من سكر الكبر وطيش الغرور.

خرجت من المسجد مرددا قول الله تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص:٥٦]

لقد كان درسا لي قبل صاحبي هذا.. تعلمت منه: أن الهداية لا تستعصي على أحد، ولكن علينا أن ندعو ونذكر، بلا كلل أو ملل، وندع النتائج بعدها لله تعالى.. فمن أعظم المصائب أن ننصب أنفسنا قضاة نحكم لهذا بإمكان هدايته وهذا باستحالتها، ومن أعظم المصائب أن نخمن ونتكهن بأحوال قلوب هي بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها كيف يشاء، ومن يضمن لنفسه الثبات على الحق بعد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم . وما أكثر ما كان يردده .: (يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك) [رواه الترمذي]، ومن يضمن هداية هذا أو ذاك، أم عدم هدايته.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فالله الله في الدعوة إلى الله، التي نحن في أمس الحاجة لأن نقوم بها، مع قليل من الصبر والرفق بالناس، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الابتسامة .. أجمل ما في الوجود

لا شيء يمتع كالابتسامة .. إنها تكسب الوجه طلاقة، وتعطي للبشرة نضارة، وتخفي تجاعيد الزمن، وتشرح الصدور، وتنشر الحبور، وتأخذ بالعقول، وتذيب الجفوة، وتوصل بالصفوة.. فهي نور يتلألأ وشمس تشرق في الوجه، واعتراف بنعم الله على العبد، وعنوان رغد العيش والرضا بالقسم ومجريات القدر.

والابتسامة مبجلة في كل الأديان والشرائع، ولدى العقلاء والحكماء، فتبسمك في وجه أخيك صدقة كما قال النبي العدنان، وذلك لأن الابتسامة مفتاح الأفئدة، ورسول المودة، ولوحة الجمال، وترياق الجروح، وعملة رائجة تكتسب بها محبة الخلق، وترد عنك كراه الكاره وعداوة الفظ، كما قال الإمام الشافعي –رحمه اللّه–: «الانقباض على الناس مكسبة لعداوتهم، فكن بين المنقبض والمنبسط».

ويقول الشاعر:

لقى الورى منه وجهٌ ... طلق المحيّا وسيم

وثغره في ابتسام ... به يسرّ الغريم

فبالابتسامة تلتقي الأرواح، وتزول الشحناء، وتتبخر لهجة العتاب، وتذكر الشمائل، وتختفي المعائب، ولذلك قال الشاعر:

إذا كانَ الكريمُ عَبوسَ وجهٍ ... فما أَحلى البشاشَةَ في البخيلِ

وما أروع الابتسامة لو خرجت من قلب نقي صاف، لذلك كانت ابتسامة الطفل من أصدق الابتسامات.

والابتسامة لا تكلف صاحبها جهدا ولا مالا، بل هي نوع من سخاء الروح، ومنارة التواضع، وبذل المهج، وكان ابن عمر –رضي الله عنهما–يقول: «البر شيء هين، وجه طلق وكلام لين»، هذا فضلا عن مكاسبها العظيمة وفوائدها الجليلة، فهي بحق السحر الحلال الذي يستحوذ على الغريم قبل الحبيب.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والابتسامة عنوان التفاؤل، وشعار الأمل، ودليل على الصحة النفسية الجيدة، وليس شيء من السعادة أجمل من راحة البال واستقرار النفس، فالهم من أعدى أعداء المرء، وهو يلزم الإنسان فيهلكه، أو يفتح عليه أبواب العلل المختلفة، قال تعالى حاكيا حال نبي الله يعقوب بعد فقد يوسف وأخيه عليهم أفضل الصلاة والسلام-: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [يوسف:٨٤-٨٦] (حَرَضاً) مشرفاً على الهلاك لطول غمك.

وكل النفوس تستسيغ الابتسامة، وتستطيب المرء البشوش طلق المحيا، لذلك تحرص الشركات الكبرى على اختيار مندوبي مبيعاتها من ذوي البشاشة، لترويج منتجاتها وحسن تسويقها والتربح منها. ويقول الصينيون: الذي لا يحسن الابتسامة لا ينبغي له أن يفتح متجراً.

ولا تجد أحدا يُعاتب إنسانا على تبسمه، بل اللوم مع العبوس، والعتاب قرين ظلمة النفوس، أما الابتسامة فهي قمة الفضائل، وموضع المدح من الناس، بها يعلو ذكر الفرد، ويذكر بالخير في كل محفل، وكفي بالابتسامة أنها راية البشر، وبريد الألفة، وسلامة الصدر.

إن فقه الابتسامة من كياسة المرء، فأقل ما يتلقى به الأخ أخيه هو وجه طلق، وثغر باسم، وهو من المعروف والأدب الذي ينبغي أن يكون بين الناس؛ أن يهش ويبش في وجهه كلما لاقاه أو رآه. عن أبي ذر-رضي الله عنه- قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) [مسلم٢٦٢٦] ومن رواية جابر -رضي الله عنه-: (كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق...الحديث) [أحمد١٤٢٢٩].

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الشبكة ساقطة

«الحكومة الالكترونية» أحدث الصيحات التي تتشدق بها منطقتنا العربية، حيث أدخلت برامج الحاسوب وتقنية الإنترنت إلى دواوين الحكومة بهدف تيسير العمل وسرعة الأداء كما يقول المسئولون .. فهل تحقق ذلك؟

إليكم يا سادة تجربة شخصية واقعية من العديد من التجارب التي حدثت معي شخصيا ذقت فيها المر في أروقة الحكومة الالكترونية

إنها تجربة بطاقة التموين التي انبثقت فكرة تحديثها في دماغ أحد مسئولينا العباقرة، وضرورة مواكبة التقنية الرقمية في عملية لا يفهم أحد حتى الآن المغزى منها كما هو الحال في غياب الغرض وراء استخدام التوقيت الشتوي والصيفي، فما إن تسأل أحد مسئولينا عن الهدف من هذه الإجراءات العبقرية إلا خرج عليك بحديث فلسفي أقرب للطلاسم ولا تكاد تفهم منه شيء إلا أن الخير قادم والرخاء على الأبواب، والأزمات في طريقها للانحسار.

قالوا لنا بطاقة التموين الذكية تواكب لغة العصر في سرعة الأداء ولم نجد أي سرعة تذكر بل الأمر ازداد تعقيدا وويلا في استخراج هذه البطاقة الغبية لا الذكية، والبعض قال إن الغرض منها القضاء على جشع التجار الذين يسرقون حقوق الناس التموينية رغم أن الكل يعرف أن السلع التموينية رديئة جدا جدا إلى أقصى غاية، والكل يعرض عن مفرداتها اللهم إلا السكر والزيت لا أكثر ولا أقل، أما الفقراء فيأخذون الأرز على مضض فشهر يكون جيدا وشهر آخر يأكلونه بدوده أو رائحته العفنة حسب التساهيل ثم باقي مفردات البطاقة التموينية تذهب للتجار يتصرفون فيها كما يشاءون.

ولسائل يسأل: إذا كان الأمر كذلك فلماذا أجرى أنا شخصيا وراء هذه البطاقة وأصدع رأس القراء بالحديث عن معاناتي معها.

والجواب ببساطة أنها نصيحة أحد العقلاء من المقربين لي عندما رأى مني إعراضا عن استخراجها فقال لي: حافظ عليها لأنها حق لأولادك في المستقبل قبل أن

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تكون حقك الآن ولا ندري ماذا ستأتي به الأحداث، خاصة وأن أي اسم يسقط من هذه البطاقة الشريفة من رابع بل وخامس وسادس المستحيلات أن يدرج فيها مرة أخرى، وكأنه قد فقد نسبه وضاعت هويته وتبخرت جنسيته.

تفكرت في هذا الكلام فوجدته عين العقل، خاصة وأن اسم زوجتي سقط من بطاقة أسرتها التي فقدوها بالكلية، ووجدت أنه من المستحيل إدراجها معنا في بطاقتي التموينية المصونة.

عموما توكلت على الله، وقدمت –شأني كشأن سائر الغلابة– كل الأوراق الخاصة باستخراج البطاقة التموينية الذكية، ومرت الأشهر مرور الكرام ثم سمعنا بأن بركان الخير الحكومي قد انفجر وخرجت البطاقات الذكية للوجود، ولا أستطيع أن أصف لكم يا سادة حجم الزحام والتكدس البشري من أجل استلام البطاقة.

تريث كثيرا حتى خف الضغط على الموظفين وفي هدأة الأيام ذهبت لأستلم بطاقتي المصونة.. بحث عنها الموظف بين مئات البطاقات لكن للأسف.. البطاقة غير موجودة!!.

تعب الموظف كثيرا في تكرار البحث لكن دون جدوى، فأشار علي بالذهاب لإدارة التموين لتقصى الأمر .. كنت أظن أن حظي عاثر، لكني لما ذهبت لإدارة التموين فوجئت أني من بين ألوف مؤلفة عندها كوارث مع البطاقة الذكية، أسماء ساقطة وتسجيلات لبيانات خاطئة و و و

العجيب أن الموظفين كانوا في تخبط شديد ولا يعرفون كيف يتصرفون أمام هذه المشاكل من النوع الجديد التي لم يمارسوها من قبل، وكان أسلم حل أن أعيد تقديم الأوراق لاستخراج بطاقة جديدة وفعلا فعلت.

كان علي يا كرام أن أذهب لإدارة التموين كل شهر لأحصل على إذن صرف مؤقت لحين استخراج البطاقة، وكأني أحد المشبوهين الذين يتوجب عليهم إعطاء التمام أمام الضابط كي نظل تحت عينه ومراقبته.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مرت أشهر وأشهر وتعودت على موضوع إذن الصرف، وتمرست في استخراجه بسهولة، لكن عاودتني همومي مرة أخرى لما أخبرونا أن البطاقات الذكية الخاصة بنا نحن المنكوبين قد تم استخراجها.

وتوجهت لإدارة التموين لأستلم بطاقتي لكن الموظف للمرة الثانية وبعد طول بحث أخبرني أنها غير موجودة أيضا، لكن الأمر هذه المرة بسيط – حسب قوله – فما علي إلا أن أذهب لمكتب البريد وأحصل من هناك على رقم بطاقتي الذكية من على جهاز الكمبيوتر

توجهت للبريد فوجدت جحافل مدرارة أمام الموظف المسئول، فقررت أن أعود باكرا وأكون أول من يدخل المكتب من الجمهور.

جهزت نفسي، وصليت الفجر وظللت مستيقظا رغم برودة الشتاء القارص، وقبل موعد الهجوم على مكتب البريد حزمت ملابس وخرجت مسرعا

حقيقة كان عملا بطوليا، لكني وجدت أمام الشباك فردين قد سبقوني فتعللت بأن الأمر هين

هرولت كي لا يسبقني أحد وأختصر الوقت

والمفاجأة أن الموظفة أخبرتنا وبكل بساطة أن ..... الشبكة ساقطة

آآآآآآآآآآآآآآه

لا حيلة ولا مفر من العناء .. وعلي أن أجدد هذه المغامرة الصباحية أيام وأيام كي تنجح المهمة

«الشبكة ساقطة» هذا المصطلح التكنولوجي الرقمي الجديد في حياتنا الذي يصدمك به موظف البنك وفي مكتب حجز تذاكر السفر وعند استخراج أي بيانات مهمة في سائر دواوين الحكومة.

والمحصلة أن المعاناة كما هي إلا أنها تغيرت من الصورة النمطية الدفترية إلى الصورة الالكترونية الرقمية، لا أكثر ولا أقل.

لكن هذه الشبكة الساقطة هل تجدها في أي من الشركات الاستثمارية الخاصة؟ طبعا كلا وألف كلا، على الأقل هناك احتياطيات لمثل هذه الكوارث سواء بشبكة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بديلة أو خطوط احتياطية أو غيرها من الإمكانات، هذا لأن الأمر يتعلق بالربحية، والاستثمار، والعالم لا ينتظر أحد.

ويحضرني الآن – نموذجا– مشهد الميكروباص الخاص الذي يسير في الشوارع، فلقد كرس سائقه غلام يقف على الباب دوما ينظم خروج ودخول الركاب كي لا يتوقف كثيرا في هذا الشأن، فضلا عن أن هذا الغلام المسكين لا يكف عن الصياح طيلة مسيرة الميكروباص ينادي على الزبائن في كلمات مكررة « محطة محطة محطة» ولا يهم أن يبح صوته أو حتى يفقد حنجرته بالكلية، المهم هو أنه لا يدع أي راكب يفلت منه، ورغم أن الباص مكتوب عليه وبالخط العريض وجهته، إلا أن أصول الاستثمار فرضت على الفتى المسكين هذا الصياح المتكرر كي لا يفلت منه الأمي أو النعسان أو صاحب النظر الضعيف أو غيرهم ممن لا ينتفعون بما كتب على الباص.

إلى هذه الدرجة!! فالربح لا يرحم لا صغير ولا كبير، وبالطبع الراكب من أكبر المستفيدين في هذه العملية النشيطة التي تنقله إلى وجهته بخفة وسرعة منقطعة النظير، على العكس تماما من الأتوبيسات الحكومية التي صممت أساسا للنائمين والكسولين ومن يرغبون في الوصول في اليوم التالي.

والأمثلة كثيرة وعديدة عن هذا الفارق الهائل بين تبلد القطاع الحكومي حتى ولو كان رقميا، وتوهج القطاع الخاص حتى ولو كان بدائيا.

وعموما رغم أننا لا ننكر أن العالم الرقمي الناجح اختصر كثير الجهود والمسافات، لكن تظل جوهر المشكلة ليست في الدفترية ولا في الرقمية، بل في من يقبع وراء هذه الوسائل، وفي «المسئول» الذي يخطط لا لكي يهتف على قنوات التلفزة أننا متقدمون، بل يخطط لغرض واحد وهو «راحة المواطن» وبالطبع هيهات أن تجد مثل هذا الرجل

فإلى الله المشتكى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الفن والفصام النكد

منذ الصغر وسؤال كان دوما يراودني ويحيرني ولا أجد له إجابة شافية .. لماذا تكرس الرسالة الإعلامية والفنية في عالمنا العربي دورها على مواضيع الحب والغرام فقط ؟! في مجتمعات تضج بالكثير من الأزمات بداية من تدني مستويات الثقافة والمعيشة ومرورا بأزمات البطالة والعنوسة والإدمان والفساد السياسي والإداري والتراجع الفكري والتكنولوجي حتى فاتنا قطار النهضة منذ زمن سحيق.

ففي خضم هذه الأزمات الحقيقية أصيب الفن بنوع من الفصام النكد، فأصبح لا يعبر عن مشاعر وضمير المجتمع الذي يمثله، بل دار في فلك واحد هو أبعد ما يكون عن واقع الناس تماما. وانشغل بابن الباشا الذي أحب بنت الخادمة، والفنانة المشهورة التي تربطها علاقة غرامية بفنان مغمور، وسي السيد الذي كان حقا أسطورة في نزواته، وابن الجيران الرابط في نافذة الشباك من أجل مغازلة بنت الجيران، والشريفة العفيفة التي قست عليها الظروف فلم تجد غير أحضان الكباريهات السخية من أجل لقمة العيش.

هذا كله ضمن قصة طويلة من الكفاح والنضال والوقوف أمام المجتمع وتقاليده البالية لكي يظفر الحبيب بحبيبته، وفي خضم هذا النضال المرير لو حدث للبطل العاشق الولهان كبوة يهرع إلى الحانات أو إلى زجاجة الخمر لكي ينسى أزماته، وربما تلقفته واحدة من بنات الليل يقضي معها أيامه محطما شريدا حتى يندم الأهل ويراجعوا أنفسهم وينزلوا على رغبه ابنهم الحبيب المظلوم.

كل هذا مصحوبا بفنانات غاية في الفتنة، وديكورات غاية في الروعة والتأنق، فضلا عن السيارات الفارهة وحمامات السباحة الخلابة والكازينوهات ومحلات بيع الورود، ولا ننسى طاقم الخدمة من بواب العمارة والخادم والخادمة، والطبيب والمحامي الخاص بالعائلة، والمزرعة أو العزبة حيث مناظر الطبيعة التي يتمتع بها البطل مع البطلة على ظهور الخيول العربية الأصيلة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كل هذا الحلم الوردي يعرض على شاشاتنا في الوقت الذي تمتلك فيه إسرائيل صاروخ نووي لكل عاصمة عربية، وتطالعنا نشرات الأخبار يوميا بمشاهد سفك الدماء العربية والإسلامية في كل أرجاء المعمورة، وتغيب الإحصائيات الحقيقة عن وضعية خط الفقر، ودخل الفرد السنوي، وعمالة الأطفال، ومعدلات التلوث، وأزمة الإسكان والأمية والعمالة، ومرضى السرطان والفشل الكلوي وفيروس c الذين يتزايدون بالآلاف ولا يسمع بهم أحد!!

لماذا أخذ الفن على عاتقه مهمة تغييب الرأي العام وتزييفه ؟!

لماذا لا تغيب عن أي فيلم زجاجة الخمر والمشاهد الساخنة والكلمات المثيرة للغرائز ؟!

لماذا كل النساء في أفلامنا فاتنات والسيارات فارهات والقصور عامرات؟!

كل هذا يعرض لشعوب قطاع منها – لا يستهان به – يسكن العشش بل والقبور أحيانا، ولا يجد حتى الماء النظيف ليشربه، ولا يحصل على رغيف العيش إلا بعد الوقوف لساعات في طابور تحط فيه من كرامته وربما ينتهك عرضه، ومجمل دخله السنوي لا يعادل ما ينفق على كلب أو قطة في الدول الأوروبية.

لكن هذه المعضلة الفنية في تصوري لها ثلاث تبريرات:

فالأمر ببساطة يتعلق أولا بالقائمين على الأعمال الفنية من المشبوهين وسيئي السمعة، وكل إناء ينضح بما فيه، ولا يخفى علينا دور الصهيونية العالمية والفكر الغربي الإباحي في السيطرة على هذا القطاع في العالم أجمع بداية من هوليود ونهاية بمجتمعاتنا الساذجة.

كما أن المعضلة تكمن أيضا في هذا الاستقطاب الحاد الذي نلحظه في الإعلام العربي وفي نقاطه الساخنة بالذات. استقطاب بات من الحدة والتشنج والتعصب بحيث يستحيل علي أي كاتب أن يعبر عن رأي أو موقف إلا ويجد من يكيلون له الاتهامات بأنه ينتمي لهذا أو ذاك من التصنيفات الطائفية أو السياسية أو العرقية أو الدينية وكل منها عادة ما يكون مشحونا بفيض من العدوانية والكثير من الرذائل وأحيانا الشتائم. فإن كتبت مدافعا عن حق الإخوان المسلمين في تشكيل حزب أو في

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المساهمة في العملية السياسية أو الحكم فأنت إسلاموي أو إسلامجي – وهي عبارات نحتت خصيصا للتحقير والتهكم علي كل من ينتمي لهذه التيارات او يدافع عنها – ومعاد لقيم الليبرالية والحضارة والنضارة والشطارة والتقدم .. إلي آخر مفردات القاموس المستهلكة. ويتجاهل خصومك أنك تدافع عن حقهم في التعبير والنشاط السياسي وليس بالضرورة عن كل ما يمثلونه.

وإن دافعت عن المقاومة العراقية فأنت صدامي أو إرهابي أو تكفيري من بقايا النظام البائد، أو لعلك من جنود القاعدة المجهولين وتلاميذ بن لادن. وبالمثل لو هاجمت العمليات الإرهابية التي تقتل الأبرياء في العراق وكيف أنها لا تمت للمقاومة بصلة، فأنت فارسي أو عميل إيراني وشيعي. وإن دافعت عن حماس فأنت تتنكر لتاريخ فتح النضالي وشرعية السلطة الفلسطينية، ولاشك أنك عميل لإيران. وإن دافعت عن فتح فلن تعدم من يتهمك بأنك جزء من مخطط تصفية القضية الفلسطينية. وإن هاجمت الأغلبية اللبنانية فأنت عميل لسورية وأيضا إيران، وانتقدت حزب الله فأنت صهيوني ومتأمرك ومرهون للقوي الأجنبية

وإن هاجمت الفساد الذي يزكم الأنوف فأنت قومجي من عشاق الديكتاتورية والاستبداد، أو مأجور تتقاضي عمولات من جهات أجنبية مشبوهة. وإن تحدثت عن حقوق الأقليات فأنت تستهدف الوحدة الوطنية وتسعي لبث الفرقة وتكريس المؤامرة الغربية. أيا ما كان الرأي الذي تجهر به فلا مفر من انه سيضعك في واحد أو أكثر من هذه التصنيفات الخزعبلاتية والتي لا يملك مهاجموك بالضرورة أي دليل عليها.

وأخيرا الأمر يتعلق بالمشاهد، أو بمعنى أوضح العبيد الذين يشاهدون هذا الفن المبتذل:

العبيد الذين رضوا بأن يتخلى الفن عن قضاياهم لأنهم أنفسهم تخلوا عنها واستمرئوا المذلة وقبلوا أن يعيشوا عبيدا في ثوب أحرار... العبيد الذين يأسوا من التغيير للأفضل وآثروا القهر واستسلموا لنزواتهم يمارسوها مشاهدة فقط على شاشات التلفاز لا حقيقة واقعة لأنهم يعرفون جيدا أنهم عبيد، والعبيد يتفرجون فقط.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

العبيد الذين ألفوا التصفيق في كل وقت وحين، صفقوا في هزيمة يونيو ١٩٦٧، وصفقوا في كل مؤتمرات السلام مع إسرائيل، وصفقوا في كل الانتخابات المزورة، وصفقوا في كل المجالس النيابية لخطط التنمية الوهمية وصفقوا يوم أطلقنا الأقمار الصناعية للفضاء لا لأغراض البحث العلمي أو للاتفاق على أوائل الشهور العربية، ولكن لعرض المزيد من فضائيات السحر والكليبات والأفلام الإباحية.

العبيد الذين ينظرون دوما تحت أقدامهم ولا يهمهم غير الفم والفرج فإن أعطوا رضوا وإن لم يعطوا إذا هم يسخطون.

العبيد الذين شغلوا أنفسهم بقضايا من صنع أعدائهم فلا يؤرقهم غير مواضيع: قيادة المرأة للسيارة، والخلع، ورضاع الموظف من زميلته، وإمامة المرأة في الصلاة.

ذهب الذين يعاش في أكنافه وبقيت في خلف كجلد الأجرب

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أنا والشيف شربيني

في مصر تربينا على أن الشهرة والثروة والنجومية مرتبطة بطريقين لا ثالث لهما: احتراف كرة القدم، أو احتراف التمثيل .. وكنا في الصغر وريعان الشباب تستهوينا أحاديث الإعلام عن أو مع النجوم، سواء من أهل الرياضة أو الفن.

ثم قرأنا وسافرنا واكتشفنا العالم من حولنا، وتبين لنا حجم الخداع الذي كنا نعيش فيه، ومدى الدجل الذي مارسته جهات مشبوهة لتأطير النجومية في الكرة والفن فقط.

في الخارج شاهدنا قدسية العلم ومكانة العلماء، وقرعت طبول آذاننا عبارات «البحث العلمي»، «عجلة الإنتاج»، «حجم الصادرات» «المدينة التكنولوجية» .. أدركنا أن عالم الغرب المتقدم غير محصور في هوليود ولا في إستاد كرة القدم، كما صوروه لنا.

إنه عالم أرحب من ذلك بكثير حيث المصانع على تنوعها وتميزها، وحيث المنتج البصمة الذي يميز البلد عن غيرها من بلدان العالم أجمع .. فهذا موتور كالبيدا إيطالي، وتلك سيارة مرسيدس ألماني، وصاروخ إريان الفرنسي، والجبن الهولندي والشكولاته السويسري الفاخرة .. والكثير والكثير مما يفوق العد والوصف.

في خارج مصر رأينا أبراجا تجارية وصناعية جبارة أعلى من برج الجزيرة القاطن في قلب قاهرة المعز، وقد كنا نعتقد أنه أعلى برج في العالم .. ورأينا حاملات طائرات وسفن تجارية عملاقة تفوق تلك المراكب الشراعية التي تبحر في النيل «النهر الخالد» وعلى متنها حبيبان وفي نهايتها يجلس المراكبي ومعه الناي يعزف لهما موال رومانسي .. بل رأينا شركات صناعية ضخمة تفوق ميزانيتها ميزانية مصر «أم الدنيا» .. تلك المقولة التي عشنا متيمين بها ونحلم في أجوائها على إيقاع آلاف الأغاني الوطنية الحماسية التي كانت تحرك مشاعرنا لدرجة أننا كدنا نأكل من ترابها قبل أن نمشي عليه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والملحمة اليتيمة في حياة المصريين المعاصرين كانت «حرب أكتوبر ٧٣» .. تلك الملحمة التي ظلوا يضخموها لنا حتى تصورنا أننا غزونا فيها الدنيا، وليس بلداً صغيرة كإسرائيل التي ظلت واستمرت وتضخمت بعد الحرب حتى صارت في مصاف الدول المعتبرة وتدلع لنا لسانها في الوقت الذي ما زال المصريون يتغنون ببطولات الانتصار.

تجولنا وقرأنا وشاهدنا فأفقنا من غيبوبة طالت لعقود، لكن الغريب أن المسار العام المصري مازال في غيبوبته، فقبيل كتابة هذه السطور طالعت أخبار من قبيل:

في مصر.. حملة الدكتوراه "عواطلية"

نظم حملة الماجستير والدكتوراه، وقفة احتجاجية أمام مجلس الوزراء لعرض مطالبهم في التعيين بالوظائف الحكومية والإدارية بالدولة والتي لم تنفذ، وبعد ساعتين نقلوا احتجاجهم إلى ميدان التحرير، الأمر الذي لم تقبل به الحكومة المصرية، فتوجهت قوة أمنية من عشرات أفراد الأمن المركزي لتفريق المحتجين بالقنابل المسيلة للدموع وإلقاء القبض على المنسقين لحملة الماجستير والدكتوراه.

شبكة «النهار» أصدرت بيانًا، أعلنت فيه عودة الإعلامية ريهام سعيد، لتقديم برنامج «صبايا الخير» مرة أخرى، وذلك لاستكمال دورها الخيري والإنساني.

جدير بالذكر أن برنامج «صبايا الخير» قد توقف منذ شهر؛ وذلك بعد الهجوم الذي تعرضت له ريهام سعيد؛ بسبب عرضها لصور شخصية لفتاة تعرضت للتحرش.

محمد أبو تريكة يحصل على الرخصة C

قام عبد المنعم شطة، المدير الفني للاتحاد الأفريقي لكرة القدم «كاف» والدكتور محمود سعد، المدير الفني للاتحاد المصري، والكابتن فتحي نصير، المحاضر الدولي، بتوزيع الشهادات على الدارسين في دورة الرخصة c ، والتي نظمتها منطقة الجيزة لكرة القدم بنادي الصيد بمدينة السادس من أكتوبر. شارك في الدورة النجم المعتزل محمد أبو تريكة واجتازها بنجاح.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

هذا غيض من فيض، فيض غيبوبة مصرية عجيبة، لكن إحقاقا للحق لابد أن نعترف أنه حدث تغيير في إطار هذه الغيبوبة، تغير بمثابة انفراجة نسبية، حيث توسع مجال النجومية ليشمل برامج الطهي التي يقدمها الشيف المتألق والطباخ المتميز.

نجوم جدد يضافوا إلى رصيد النجومية المصرية تطالع معهم أخبار من قبيل:

مواقع التواصل وبرامج الطهي سحبت البساط من تحت أقدام كتاب «أبله نظيرة».

اشتعال المنافسة بين القنوات على برامج الطهي والشيفات. حيث يقول الخبر:

"يبدو أن برامج الطهي تثير اهتمام الفضائيات بصورة كبيرة، خاصة أن لها جماهيرية عريضة، وتزداد هذه الشعبية مع دخول شهر رمضان، ومن هنا فقد أطلقت مجموعة قنوات (سى بى سى) أول قناة متخصصة فى الطهي والتي تحمل اسم (سفرة سى بى سى) ويشارك بالتقديم فى القناة عدد كبير من الطهاة والشيفات منهم (الشيف شربيني) والذي انضم إلى أسرة عمل القناة بعد سنوات عديدة قضاها في العمل بقناة الحياة .. خاصة أن له جماهيرية كبيرة بين المشاهدين، والطريف أن نجله علاء يقدم برنامج طهى بعنوان (لقمة هنية) على قناة النهار ومن هنا فإن الفضائيات تلعب من الآن على ورقة برامج الطهي مع اقتراب شهر رمضان لأن ذلك من البرامج الاكثر متابعة، وبعد خطوة انتقال الشيف شربينى للقناة الجديدة بدأت الفضائيات فى تأكيد تعاقداتها مع الشيفات حتى لا تحدث أي مفاجآت غير متوقعة، وهذا هو عالم الفضائيات الملئ بكل جديد ولا يقتصر العمل فيها على البرامج السياسية فقط".

خلاصة الكلام يا سادة أن النجومية المصرية لها أبوابها، وأن البؤس الحقيقي أن تمتهن في بلد كمصر الكتابة والتأليف، فالعلم في مصر بضاعة المفاليس، ويحضرني المثل الشهير في مصر: (لو خفت على شيء فاحتفظ به بين دفتي كتاب فنحن شعب لا يقرأ).

وما أشد ألمك ككاتب أن تأخذ إنتاجك الفكري أو العلمي أو الأدبي .. وتطوف به على من يثمنه فلا تجد إلا بعض المواقع التي توافق به بشرط أن لا يكون سبق نشره وأن الموقع غير ملتزم بأي مقابل مادي عند النشر!!

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يعني من يدور في طاحونة أفضل منك سيدي الكاتب .. الكتابة تسمع لها قعقعة ولا ترى طحنا .. مع الكتابة أنت مغمور، غير ميسور، خارج الطابور، لا ترى النور، بل من أهل القبور.

في المجتمعات المتخلفة لا حرص إلا على ثنائية «الفقر والجهل» أما الفقر فيجعل الشعوب لا تفكر إلا بسد الرمق، وحياتها كلها في فلك الدينار والدرهم، وأما الجهل فبه يسهل قيادة القطيع الذي لا يبصر له حقوقا غير كسرة خبز تشبعه وفرشة بسيطة يضع عليها جنبه آخر النهار.

هذه ببساطة قصة أم الدنيا !!!!!!

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تناقضات البشر

الدكتور محمد «طبيب بيطري» بارع ومثقف متميز في مهنته، أخذ على عاتقه في عيادته الخاصة الرفع من شأن ومكانة المهنة، بعدما ساءت سمعتها لدرجة بالغة بفعل وسائل الإعلام التي تتخذ من الطبيب البيطري والشيخ الأزهري المتفرنج مادة خصبة ساخرة لأعمالها الكوميدية. فضلا عن النفرة المعهودة في مجتمعاتنا المتخلفة ثقافيا من طبيب الحيوانات، بوصفه عملا لا ينسجم مع الوجاهة الاجتماعية، خاصة بين شباب هذا الجيل الذي يأنف من العمل المهني ويريد غالبيته أن يعمل مبرمج كمبيوتر أو مدير شركة تجارية ويكون عنده مكتب أنيق وسكرتيرة حسناء كما يشاهد في الأفلام والمسلسلات.

بعبارة أخرى: شبابنا بات يعيش في أحلام يقظة سببها الإعلام المشوه الذي لا يعرف العرق ولا الكد، والغريب أن هذا الشباب المسكين لا يريد أن يفيق من هذا الحلم الجميل، إلا أن سنن الله الكونية ليست على وفق أهواء البشر، والمرد بعد التخرج من الكلية يكون قاسيا لمن يحتك بالحياة العملية هائما في سباته وخياله الإعلامي آنف الذكر. أذكر أنني عندما كنت في أحد زياراتي للمملكة العربية السعودية كان سائق السيارة التي تقلني في المدينة المنورة شاب سعودي جامعي وحدثني أن درجاته في الثانوية العامة كانت تؤهله لدخول كلية الطب البيطري إلا أنه اختار كلية أخرى بدافع أن لا يقال عنه «طبيب حمير»!!

المهم أن عيادة الدكتور محمد كانت فائقة التنظيم، بها كافة المستحضرات والعقاقير الطبية الراقية، يبع منها للجمهور، ولقد خصص ثلاث أيام للكشف المجاني، أما باقي الأيام فهي بكشف زهيد قيمته ثلاث جنيهات فقط، كما أنه يسجل بيانات كل حالة ترد عليه في أجندة خاصة، لكي يتابع تطورها وتواصلها معه في المراحل التالية. هذا في الوقت الذي تعد هذه البروتوكولات شيء غير وارد في مهنة الطب البيطري، ولا يألفها أمثاله من الأطباء البيطريين.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وعيادة الدكتور محمد البيطرية لا تقع في الأرياف كما هو معهود، بل في وسط مدينة عريقة ومزدحمة، لأنه يتعامل مع المربي الصغير في المدن من هواة مربي الحمام والدجاج المنزلي وغيرها من الحيوانات الداجنة. فضلا عن مربي القطط وعصافير الزينة والصقور.

كان الدكتور محمد أنيقا في مظهره، بليغا في منطقه، بارعا في مهنته، كما أنه باحثا مجدا يكتب في مجلة الدواجن العالمية وله فيها منشورات راقية.

لكن وللأسف بعد كل هذا الجهد التنظيمي والرسالة الراقية والنبيلة التي حملها الدكتور محمد على عاتقه .. رغم كل هذا يا سادة كتب الدكتور محمد على لافتة عيادته البيطرية «دكتور كتكوت»!!! .. هذه اللافتة التي جعلته أكبر مادة للسخرية والتندر بين أبناء مدينته. وأساء لزملائه البيطريين أكثر مما أحسن، حيث نشر بين أوساط الدهماء عبارة ظلت لصيقة بهم في محيط مجتمعهم، وزادت طينهم بله، ومشكلتهم الاجتماعية تعقيدا، وكما يقول المثل: «ليتها ما زنت ولا تصدقت».

أمثال الدكتور محمد كثيرة في ماضينا وحاضرنا، فعلى سبيل المثال: يصف الأستاذ أحمد أمين –رحمه الله– في كتابه «ظهر الإسلام» سيف الدولة بقوله: «كان ينهب كثيراً ويهب كثيراً!! فيهب المال الكثير للمتنبي لأنه يمدحه، ويبخل على ابن عمه أبي فراس بفدائه من الأسر .. وهذا قاضيه يجمع له مال الرعية ظلماً وعدواناً، والمتنبي يمدحه حتى تظن سيف الدولة ملكاً كريماً، وعادلاً رحيماً، عكس تاريخه .. يُجري على الفارابي أربعة دارهم في كل يوم لأنه فيلسوف، ويمنح المتنبي الآلاف .. قد سهل له قاضيه مظلمة، حتى قال القاضي يوماً: من هلك، فلسيف الدولة ما ملك! فهو وهاب نهاب، يصادر الناس في أموالهم ليمنحها لمن يصوغون له قلائد المدح».

إن التناقض في حياة البشر صفة جنونية مستفزة، تنم عن عقل مضطرب، وفكر مهتز، وسلوك أهوج. ولذلك مجه العقلاء واستهجنه الشرع وقبح أمره.

قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }[النحل: ٩١-٩٢]

قال المفسرون: (وأوفوا بعهد الله) من البيع والأيمان وغيرها (إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) توثيقها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) بالوفاء، حيث حلفتم به (إن الله يعلم ما تفعلون) تهديد لهم (ولا تكونوا كالتي نقضت) أفسدت (غزلها) ما غزلته (من بعد قوة) إحكام له وبرم (أنكاثا) حال جمع نكث وهو ما ينكث أي يحل إحكامه، وهي امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه (تتخذون) حال من ضمير تكونوا، أي: لا تكونوا مثلها في اتخاذكم (أيمانكم دخلا) هو ما يدخل في الشيء وليس منه، أي: فسادا وخديعة (بينكم) بأن تنقضوها (أن) أي: لأن (تكون أمة) جماعة (هي أربى) أكثر (من أمة) وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف أولئك وحالفوهم (إنما يبلوكم) يختبركم (الله به) أي بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي، أو بكون امة أربى لينظر أتفون أم لا (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي [تفسير الجلالين]

والمعنى: أنَّها لم تكلَّ عن العمل، ولا حين عملت كفَّت عن النقض، فكذلك أنتم إذا نقضتم العهد لا كفَّيتم عن العهد، ولا حين عاهدتم وفيتم به [تفسير اللباب: ١/٣٢٥١] وكل جزئية من جزيئات التشبيه تشي بالتحقير والترذيل والتعجب. وتشوه الأمر في النفوس وتقبحه في القلوب. وهو المقصود. وما يرضى إنسان كريم لنفسه أن يكون مثله كمثل هذه المرأة الضعيفة الإرادة الملتاثة العقل، التي تقضي حياتها فيما لا غناء فيه![في ظلال القرآن: ٤/٤٨٦] ووجه الشّبه الرجوع إلى فساد بعد التلبّس بصلاح [التحرير والتنوير ١٤/٢٤٦] من نقض عهده أفسد بآخر أمره أوّله، وهدم بفعله ما أسّسه، وقلع بيده ما غرسه، وكان كمن نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا [لطائف الإشارات: ٢/٣١٦]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا سافر، يتعوذ من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، الحَوْرِ بعد الكَوْرِ، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال. [مسلم:١٣٤٣]

«الحَوْرِ بعد الكَوْرِ» أي: من النقصان بعد الزيادة أو الكمال، وقيل من فساد الأمور بعد صلاحها، وأصل الحور نقض العمامة بعد لفها، وأصل الكور من تكوير العامة وهو لفها وجمعها [تحفة الأحوذي٩/٢٨١ بزيادة]

ولذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لشداد بن أوس: يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب» [السلسة الصحيحة:٣٢٢٨]

«أسألك الثبات في الأمر»: أي عقد القلب على إمضاء الأمر، قال الوالي: الثبات التمكن في الموضع الذي شأنه الاستزلال. وقال الشوكاني: سؤال الثبات في الأمر من جوامع الكلم النبوية؛ لأن من ثبته الله في أموره عصم عن الوقوع في الموبقات ولم يصدر منه أمر خلاف ما يرضاه الله.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كهنة العلم وسدنة الجامعة

عشت الحياة الجامعية بكافة تفاصيلها، وكانت أكبر كذبة عشتها في حياتي، فلقد دخلتها جاهلا وخرجت منها جاهلا برخصة (شهادة البكالوريوس)، طبيب خالي الوفاض، لا يلم بأبسط قواعد الطب العملية، فالجامعات المصرية عندنا يا سادة فيلم كبير .. فيلم يشدك بأحداثه حتى تتصور أنك بطله، ثم على صخرة الواقع العملي تستفيق لتجد نفسك أن ما درسته شيء والواقع شيئا آخر.

فقي الجامعة تغرق في بحار الدراسات الأكاديمية والمناهج النظرية .. كتب ومراجع ومحاضرات وسكاشن، والدراسة في أغلب الكليات العملية باللغة الإنجليزية، ثم تتخرج بلا فرحة لأن مكان الشهادة الطبيعي على جدران غرفتك لا أكثر ولا أقل، فإذا كنت من المحظوظين ووجدت وظيفة أو عمل، تكون أول كلمة تسمعها من مديرك أو رئيسك في العمل: "أنس تماما ما تعلمته في الجامعة، والتزم بما يقال لك من تعليمات وتوجيهات".

ربما كل هذا معروفا لكل جامعي مصري، لكني أريد أن أغوص في دهاليز الجامعات المصرية وما يحدث في كواليسها من غرائب وعجائب.

إن الجامعة المصرية يقوم على أمرها أساتذة من المفترض أنهم علماء يحملون أمانة العلم ويتسمون بهيبته .. لكنهم –في أغلب أحوالهم إلا من رحم ربي– كهنة للعلم وسدنة للجامعة، كما كان لفرعون وسائر الجبابرة كهنة يطوعون له الدين ويخدرون له الشعب ويجنون في المقابل ثروات ومكانة اجتماعية فريدة.

فأنت بمجرد أن تسمع عبارة «أستاذ جامعي» تتوارد عليك خواطر العلم والعلماء ودماثة الخلق ورفعة القدر .. لكن كل هذا يتلاشى مع أول طروقك لأبواب الجامعات المصرية. تكتشف أنك وقعت وسط عصابة هي جزء من إفشال منظومة التعليم في مصر المحروسة.

تجد غالبا في الأستاذ الجامعي الفظاظة والتكبر وتصلب الرأي وتفرد القرار وسلطة مطلقة قادرة حتى على تحديد سعر المذكرة أو الكتاب الذي يطبعه لتلاميذه ..

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أسعار فلكية لا اعتراض لأحد عليها، وكأن الطالب المسكين وقع بين أنياب وحش كاسر لا يرحم فقر الأسرة ولا ضيق ذات يدها .. في نهاية الكتاب الأستاذ المبجل ورقة عليها بيانات اسم الطالب ورقم الصف، وعند شرائك الكتاب تملأ هذه البيانات وتفصل الورقة وتعطيها لمندوب الدكتور، والطالب الذي لم يقدم الورقة هو بالطبع لم يشتر الكتاب، وهو حتما من الراسبين في هذه المادة.

أما الكتاب فحدث ولا حرج عن رداءة الورق وسوء الطباعة وقلة البضاعة المعرفية، حتى أن هذا الكتاب لو عرض على أي ناشر تجاري لألقى به في الشارع .. وبالطبع كلما زاد عدد الطلاب –كما في الكليات الأدبية– كلما ازداد سيادة الكاهن المبجل ثراء وغنى، حتى أن كلية مثل التجارة أو الحقوق المشهورة بكثافة طلابية عالية –أربعة آلاف في الدفعة– يسمونها أبو ظبي، لأن دخل الأستاذ فيها أحسن من دخل أستاذ يعمل بأبوظبي أو الخليج عموما.

أما المكانة العلمية للأساتذة ففي الحضيض بدليل أن الجامعات المصرية شحيحة في تقديم بحوث أو دراسات ذات قيمة علمية عالمية، وتمتد المأساة لتصل إلى طلبة الدراسات العليا من ماجستير ودكتوراه، فحدثني أحدهم أن رسالة الدكتوراه كلفته من قوته وقوت أولاه أكثر من ثلاثين ألف جنيها هدايا وعطايا وموائد ونفحات للدكتور المشرف وللجنة المناقشة، هذا بالنسبة للرجال فما بالك لو الرسالة مقدمة من طالبة ربما أمتد الأمر للتحرش الجنسي وليس كل ما يعلم يقال.. المهم أن المادة العلمية آخر الأولويات .. نتفا من هنا، ومعلومة من هناك، وببركة العم جوجل الباحث الشهير تكتب عشرات الرسال الجامعية يوميا مصيرها أرفف مكتبة الجامعة، وكل هذا المرار ليس من أجل العلم ولكن لسحر الـ (د) وجني الأرباح من مرتبات فلكية وتأمين صحي مميز ومؤتمرات ومنتزهات ومصايف.

وما يبعث على الدهشة أن الدولة لو وقعت في أي أزمة تسمع في الأخبار أنه تم الاستعانة بخبراء أجانب لحلها، وإذا مرض أحد الكبراء أجرى الفحوصات والعمليات في أوروبا أو أمريكا .. تتساءل حينها: أين الكوادر الجامعية المتربعة على عرش الجامعات؟!! وأين الأساتذة العباقرة المنتفخين تيها وكبرا في قاعات المحاضرات؟!!.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

حتى جائزة نوبل العريقة التي تجاوز عمرها قرنا من الزمان لم نحصد منها إلا جائزة واحدة –طبعا في الأدب– للراحل نجيب محفوظ ١٩٨٨م وهو ليس أستاذا جامعيا، وفي مجال أدبي لا يحتاج لإرهاق المعادلات ولا ميزانية المختبرات ولا إنجاز ابتكارات تفيد البشرية.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا كل هذه الامتيازات للأستاذ الجامعي وهذه الميزانيات الضخمة المرصودة للأبنية الجامعية حتى باتت الجامعات المصرية قلاع ضخمة خلت من المضمون العلمي.

والإجابة تتلخص يا سادة في أن الدول الرجعية لابد أن يكون لها بالأساس «كيان الدولة» .. كيان شكلي أكثر منه جوهري.

لابد أن تكون للدولة وزارات كالثقافة والبحث العلمي والتعليم العالي والتخطيط والتنمية المحلية والشباب والرياضة رغم أنها لا دور لها يذكر، ورغم أن الشعب في أمس الحاجة لكسرة خبز قبل الثقافة والرياضة والتنمية المحلية.

لابد أن يكون للدولة أقسام شرطة ومحاكم رغم أن القسم لا يأتي بحق أحد، والقضايا مكدسة في المحاكم لعشرات السنين.

لابد من وزارة للتربية والتعليم ومدارس وجامعات رغم أن ربع السكان يعانون من الأمية، والمتعلمون كفروا بالعلم في سوق البطالة، وحظهم من معاناة التعليم شهادة لزوم الوضع الأدبي لا أكثر ولا أقل.

هذا التخريب المتعمد في الدول الرجعية يلزمه إعطاء مميزات خاصة وسلطات مطلقة للسدنة القائمين على أمور هذه الكيانات، لأنهم يخدمون منظومة الفساد، ويمدونها بما يجدد بقائها وحياتها من قطيع شعبي يسوده الفقر والجهل.

في الدول الرجعية لا تتعجب من أن موظف بسيط في الخارجية يتقاضى راتب وكيل وزارة في التموين، أو ضابط مخابرات له صلاحيات تفوق صلاحيات محافظ، أو سيدة محامية تعين في المحكمة الدستورية العليا لمجرد أنها صديقة زوجة الرئيس.

ولا غرابة إذا أن نجد أغلب أساتذة الجامعات واجهة سيئة للعلم والعلماء، وسدنة يسبحون بحمد النظام ويجنون النذور من البسطاء بزعم العلم والتعليم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لا غرابة أننا رغم كل هذا نعيش!! .. لكننا في واقع الأمر نعيش أموات .. تلك هي المعادلة المأساوية، التي يراد لنا أن نستهلك العمر في فهمها.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مناسباتنا الدينية وسياسة التفريغ من المضمون

تهل علينا في كل عام من شهر ربيع الأول مناسبة مولد الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم–، حيث تعطل المصالح الحكومية في يوم أجازة رسمية، وينتشر باعة «حلوى مولد النبي» في كل الأماكن، ويقبل الناس علي شرائها وتناولها بشغف منقطع النظير، والكثيرون يخصون يوم ١٢ ربيع الأول بالتوسعة على الأهل وطبخ اللحم وما لذ وطاب من المأكولات، والمتدينون منهم يحرصون على المشاركة في الأمسيات الدينية التي تقام في هذا اليوم حيث تتلى في المساجد آيات من الذكر الحكيم وتنشد التواشيح ويتبارى البلغاء في إلقاء فصيح الكلمات حول حياة النبي العدنان.

ذكرياتي في الطفولة كانت لا تخرج عن هذا الإطار العام لتلك المناسبة، أما في مدرستي الابتدائية فكانت الاستعدادات لهذه المناسبة تنطلق قبلها بأيام عديدة لتجهيز يوم احتفالي يتشارك فيه التلاميذ بين مجموعات الأناشيد، وإلقاء الخطب المعدة سلفا، وبعض التمثيليات وتعليق الزينات، وغيرها من الأنشطة الاحتفالية، وأذكر أن معلمي –لعذوبة صوتي– كان يخصني بتلاوة الآيات الشهيرة من سورة الأحزاب في بداية الحفل المدرسي: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)}، ثم يقوم كبير معلمي اللغة العربية بإلقاء خطبة بليغة عن حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم– وكانت خطبة طويلة، وكنا نتململ منها نحن الصغار، ولا نفهم من مفرداتها الكثير، فلقد كانت بمثابة استعراض للفصاحة والبلاغة أمام هيئة التدريس وضيوف الحفل من قيادات الإدارة التعليمية، وينتهي هذا اليوم بذكريات التخمة والحلوى والراحة من معاناة الاستذكار إلى أجواء الاحتفال والسمر.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فلما كبرنا وعقلنا وقرأنا سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– وطالعنا السنن، وقفنا على روائع ومواقف خالدة في حياة سيد البشر، وتعرفنا على رسول الله النبي والقائد والمحارب والزوج والأب والصديق والمعلم والناصح والعابد والبليغ ... في منظومة بشرية رائعة لا تجد لها مثيلا بين عظماء الإنسانية.

وبالتالي أحسسننا بمدى الاستهتار الذي يخيم على الأجواء التعليمية والتربوية في حياتنا، واستشعرنا مرارة الفقد لهذه المثل والنماذج الرائعة التي نحن في أمس الحاجة إليها، بل تبين لنا أن الاهتمام بالقشور الاحتفالية وإهمال المضامين السلوكية كانت خدعة أو فخ وقعنا فيه. وهذا جر علينا ويلات وكوارث من قبيل تنظيم احتفالات بدعية أبعد ما تكون عن نهج الدين، وبالغنا خلالها في المأكل والمشرب والمديح، بل تجاوزت بعض المدائح النبوية حد الاعتدال إلى الشرك، فألصق البعض صفات ربوبية للنبي، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

كنا نخرج من مناسبة المولد النبوي خالي الوفاض من نور النبوة، وكان حظنا اللهو والفرح بذكرى ميلاد رجل لا نعرف عنه إلا النذر اليسير، وانقلبت المناسبة من محطة تربوية نتعرف خلالها على شخصية الرسول وقيمه وتعاليمه المباركة إلى ساحة للملذات والتجاوزات.

أنا لا أمهد بهذه الأسطر إلى تغيير نمط الاحتفال بمناسبة مولد الرسول –صلى الله عليه وسلم– فجمهور العلماء يقولون ببدعيته هذه الاحتفالات، وعلى مر التاريخ الإسلامي الأغر لم نجد أحدا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الثقات احتفل بمولد النبي –صلى الله عليه وسلم–، وإنما انتشرت هذه البدع مع انتشار الجهل، وسيطرة الدولة العبيدية (الفاطمية) الشيعية على أنحاء من العالم العربي، فرسخوا هذه المظاهر الاحتفالية تملقا للشعوب السنية، ودعوى شكلية منهم لمحبة النبي وآل بيته.

لكن أعود وأنبه أن ذكرى المولد النبوي لابد وأن تتجاوز حدود الشكليات والملذات، وأن تكون مناسبة دعوية راقية تقترب فيها الأجيال أكثر من هدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فلابد أن ننجح إعلاميا وسلوكيا في التعريف برسول الله

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

–صلى الله عليه وسلم– على المستوى المحلي والعالمي، وأن يكون حظ البشر في هذه المناسبة زيادة معرفة بالسنة المحمدية وصاحبها.

إن أمامنا العديد من القضايا الهامة التي تمس واقع علاقتنا بالنبي العدنان وهديه المبارك للأنام، فبداية لابد أن نكون على قناعة تامة بأن محبة النبي تنبثق من المعرفة الجيدة بشخصه وهديه، وامتثالها في حياتنا واقعا عمليا، وإلا تحولت إلى محبة فارغة من مضمونها، وصار حظنا منها المظهر وليس الجوهر، ومن هذا المنطلق لابد أن تكون ذكرى المولد النبوي فرصة سانحة لتسليط الأضواء أكثر على السيرة النبوية والسنن المصطفوية، وأن تكون فرصة لزيادة المعرفة بين الأجيال والتي تفرز زيادة المحبة الباعثة على الامتثال العملي لهدي النبي في كل أمر.

وهذا الجهد المعرفي يقع بلا شك على عاتق وسائل الإعلام والدعاة لمحو الأمية الدينية عن السيرة النبوية والسنن القولية والفعلية، فلا ينكر منصف أن إهمال القضية الإعلامية والمعرفية أفرز أجيالا تعاني من أمية دينية مزمنة لا يعرف فيها شبابنا إلا النذر اليسير عن روعة هذا الدين، بل نشأت أجيالا لا تعرف الفرق بين مسند أحمد ومعجم الطبراني وسنن الترمذي، فكيف بالله عليكم ستستقي العلم النافع من هذه الكنوز والموسوعات الحديثية.

ومن القضايا الملحة أيضا توظيف السنة النبوية في حل القضايا المعاصرة، انطلاقا من حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» [صحيح الجامع:٢٩٣٧]، وهذا فقه دقيق في غاية الأهمية، والمسئولية تقع فيه على علمائنا الأجلاء من أهل الخير والصلاح والنباهة، وإن كان علماء السلف ما قصروا في هذا الجانب خدمة لأهل عصرهم، واستنبطوا الحلول للمسائل المستجدة في زمانهم، فأولى بعلمائنا أن لا يدخروا وسعا في هذا الجانب المعاصر الهام، فمعين السنة متدفق لا ينضب، وعندنا من القضايا المعاصرة ما تحتاج لهدي النبي وسيرته، خاصة وأننا في عصر لا نعيش فيه بمفردنا، وتشابكت أحداثه، وتعقدت ظروفه، وهناك من التيارات الخارجية المعادية التي لا تريد أن تقوم لنا قائمة، فالاعتبار بفقه الأولويات صار

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ضروريا، ومن الكياسة أن نحدد ما هو مهم وما هو أهم، وسنة التدرج لابد أن لا تغيب عن اعتباراتنا وتقديرنا للمواقف.

أما الطنطنة حول التنازلات وهدم ثوابت الدين، وغيرها من الشعارات الحماسية، فهذا محض تحجر لن يخدم قضايانا في شيء، فما من شك أن لكل عصر ظروفه ولكل مرحلة أحكامها .. وها هو رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يتخفى وأصحابه في دار الأرقم إبان مولد الدعوة الإسلامية بمكة، وسياسته في عهد الاستضعاف المكي غير عهد التمكين المدني، بل في غزوة الأحزاب أراد أن يصالح عُيينَة بن حصن والحارث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة، حتى ينصرفا بقومهما، ويخلو المسلمون لإلحاق الهزيمة الساحقة العاجلة بقريش التي اختبروا مدي قوتها وبأسها مراراً، وجرت المراودة على ذلك، فاستشار السعدين في ذلك، فقالا: يا رسول الله، إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة، وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرًي أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف، فَصَوَّبَ رأيهما وقال: (إنما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة).. والكثير والكثير من المواقف التي تتبنى فقه المرحلة، وتحدد الأولويات ضمن الأطر العامة للشريعة الإسلامية التي جاءت لحفظ مصالح الناس لا لتعطيلها.

ومن القضايا الملحة في هذه المناسبة حوادث التهجم على شخص رسول الله – صلى الله عليه وسلم– سواء في الدانمرك برسوم كاريكاتورية مسيئة أو أمريكا أو غيرها من دول الغرب .. إنها نقطة إنذار هامة يجب أن نستفيق من خلالها، وأن لا يكون حظنا منها مجرد الاستهجان والاستنكار والشجب والإدانة .. لابد أن نكون صرحاء مع أنفسنا وأحوالنا، ونتلمس مكمن الجرح ولا نخاف من مواجهة واقعنا، فما تجرأ علينا الأعداء إلا لضعفنا على كافة المستويات الدينية والتعليمية والاقتصادية والحربية... فهان قدرنا لما ضعفت شوكتنا، ولو كنا نستطيع الرد العملي الفوري لما حدثت أحد نفسه الشريرة بالخوض في رموزنا وثوابتنا. وهذا يدعونا لأن نفكر في

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مراجعة أوراقنا جيدا، ونعلم أن جرم الاعتداء على شخص الرسول الكريم لنا فيه حظا وعلينا فيه بعض التبعة، بضعفنا وتخاذلنا حتى صرنا لا العير ولا في النفير.

تلك كانت بعض الهموم والشجون حول مناسبة مولد النبي –صلى الله عليه وسلم–، هذه المناسبة التي تحتاج منا لحسن التوظيف، والاستفادة من نبعها المتدفق، لا أن يصير حظنا منها ماراثونيات احتفالية فارغة، دون فائدة تذكر ولا مواقف تعدل، ولا محاسبة ومراجعة لأحوالنا التي باتت لا ترضي الله تعالى ولا رسول –صلى الله عليه وسلم–.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وكان أبوهما صالحا

كانت تدخن سيجارتها بانفعال وهي تستعرض مشكلتها مع أبنائها الذين عانت منهم معاناة نفسية شديدة أكلت من صحتها وتفكيرها الشيء الكثير حسب تعبيرها، كانت براعتها في وصف مأساتها بدافع من المرارة التي تحس بها وخيبة الأمل التي انتابتها في أولادها، وبرغم أنها محقة في أكثر الأمور التي أنكرتها على أبنائها، إلا أنها أخفقت ـ في تقديري ـ في وصف الدواء، وهذا هو الخطأ الأكبر الذي يقع فيه كثير من الآباء لأن الحل يبدأ دائما من عندهم أنفسهم وهذا ما نغفل عنه غالبا ونغرق في بحر من الأوامر الصارمة لأبنائنا لعلها تدرك وتصلح ما فات إدراكه وإصلاحه

فمسألة التربية وتكوين الأسرة في هذا الزمان تمثل هاجسا وبعدا اجتماعيا ونفسيا كبيرا لدى الفرد منا، فمع تحول العصر وتبدل الحال وطغيان الحضارة المادية والعلمية والتكنولوجية على حياة الناس أصبحت هموم التربية وتكوين الأسر هواجس اجتماعية تقض المضاجع وتتطلب المزيد من العطاء والتضحية والوعي والفهم والإدراك، إلا أنه في هذا الخضم لابد أن يكون منطلقنا التربوي من منابع ديننا الحنيف الذي يتميز بشمولية وواقعة متناهية جعلت من التربية صرحا متكاملا تأسس بنيانه ابتداءً على صلاح الآباء من أجل استجلاب مدد الوهاب وعونه وتوفيقه، إضافة إلى تقديم نموذج للقدوة الصالحة والبيئة الصافية التي تنبت فيها الذرية نقية طاهرة كما يحب ربنا ويرضى

قال تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً} [النساء:٩] ففي الآية إشارة إلى إرشاد الآباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم حتى تحفظ أبناؤهم وتغاث بالعناية منه تعالى . ويكون في إشعارها تهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله تعالى

قال الشيباني: كنا على قسطنطينية في عسكر مسلمة بن عبد الملك، فجلسنا يوما في جماعة من أهل العلم فيهم ابن الديلمي فتذاكروا ما يكون من أهوال آخر الزمان . فقلت له: يا أبا بشر، ودي ألا يكون لي ولد . فقال لي: ما عليك ! ما من

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

نسمة قضى الله بخروجها من رجل إلا خرجت، أحب أو كره، ولكن إذا أردت أن تأمن عليهم فاتق الله في غيرهم ثم تلا الآية {وليخش الذين لو تركوا ...إلى آخرها}، وفي رواية: ألا أدلك على أمر إن أنت أدركته نجاك الله منه وإن تركت ولدا من بعدك حفظهم الله فيك، فقلت: بلى ! فتلا الآية

وقال تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً} [الكهف:٨٢] فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وعلى هذا يدل أيضا قوله تعالى: {إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين} [الأعراف:١٩٦]، قال عمر بن عبد العزيز: ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه، وقال ابن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستر، وقال سعيد بن المسيب لابنه: لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك ثم تلا الآية {وكان أبوهما صالحا}

لأزيدن في صلاتي من أجلك!!

بهذه العبارة الجميلة يخاطب الشيخ الجليل سعيد بن المسيب – رحمه الله – ولده:(لأزيدن في صلاتي من أجلك..) لماذا يا والدي؟! رجاء أن أُحفظ فيك..

لقد عرف – رحمه الله – طريق الحفظ والكرامة، ومتى تكون العناية الربانية؟! وفَقه شروط ذلك، ومتى يتحقق وكيف يكون؟! فما كان منه إلا أن سلك دروبها، وقرر أن يلتزم أصولها، حتى يحفظه الله في ولده، ويبارك له في ذريته من بعده، ويكون لهم سنداً وعوناً، يأخذ بنواصيهم إلى البر والتقوى، ويصرف عنهم السوء فعلاً وقولاً..

لقد أدرك أن صلاح الأبناء، لا يكون إلا بصلاح الآباء، وأن صلاح الآباء يعود نفعه، وتعم فائدته الأبناء، فمن هنا جاء قراره (لأزيدن في صلاتي من أجلك..)

إنه يخط لنا منهجاً قويماً في التربية والإصلاح، يريد أن يبين لنا من خلاله: كيفية تربية الأبناء التربية الحسنة،وتنشئتهم التنشئة الصالحة . إنه يؤسس بهذه العبارة لبناء تربوي عظيم، يخاطب فيه الآباء والأمهات على حد سواء، الذين أخذتهم سنة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وغفلة، وسرقتهم خلسة مشغلة ـ قد تكون تافهة ـ عن أبنائهم، فتركوا شأن التربية للمربية المستأجرة، والمدرسة المتفرنجة، والتلفاز الغريب لغة ولساناً وهيئة، والشارع البعيد كل البعد عن قيم قومنا وعاداتهم . إنهم آباء – بكل صراحة ووضوح – لم يدركوا حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، ولا عظم التبعية، ولا ثقل الأمانة.. التي سيحاسبون عليها حساباً ليس يسيراً على الإطلاق، فلم يلتزموا منهجاً، ولم يسلكوا سبيلاً، ولم يتخذوا لذلك عدة أو عزيمة.

ولقد شغل هؤلاء الآباء أنفسهم في أمور ليست من اختصاصهم، ولا هي من تدبيرهم، فأرهقوها في التحصيل المادي، حتى يؤمنوا لأبنائهم المستقبل.. حفظاً وكرامة وعيشاً.. وكأن الجمع المادي، والسعي الدنيوي، والرصيد البنكي..هو ضمانة الحفظ، وشرط التوفيق.. إنهم لم يدركوا الحقائق، ولم يسمعوا هواتفها..تزلزل القلوب، وتهز الوجدان، بأجمل بيان، وأعز ضمانة {نحن نرزقهم وإياكم} [الإسراء:٣١]

(لأزيدن في صلاتي من أجلك..) لأزين في بذلي وعطائي في سبيل الله من أجلك يا بني.. فما نقص مال من صدقة.. والصدقة تطفئ غضب الرب.. وترد النقم..وتدفع الألم..

ولأبتعدن عن المعاصي والمحرمات من أجلك يا بني.. فلا أقرب الربا ولا أفكر فيه..ولا أغش أحدا، أو أخدعه في سبيل ترقية أو زيادة.. ولا أرضى إلا الإتقان في العمل، حتى يكون الراتب – الذي يتغذى به جسدك، وينفق منه عليك – حلالاً طيباً، فالله سبحانه لا يقبل إلا طيباً..وسأحفظ الله سبحانه في السر والعلن، حتى تحفظ يا بني

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

آداب أسرية وسلوكيات تربوية

من منا لا ينشد سعة الحال وبسطة الرزق ونعيم الرخاء، ومن منا لا يريد السعادة لأولاده بل وأحفاده وسائر عقبه، ومن منا لا يبتغي أسباب الاستقرار لأسرته وذريته .. إنه طموح الأسوياء ومنتهى آمال العقلاء، وهو أحد طرفي معادلة كونية وسنة ربانية طرفها الآخر قوله تعالى: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً} [الجن:١٦] وقوله: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [المائدة:٦٦]، وقوله: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف:٩٦] وقوله: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل:٩٧]. وقوله: {وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} [الطلاق:٢-٣] وقوله: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً} [نوح:١٠-١٢] وقوله: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ} [هود:٥٢]

وروي أن عمر –رضي الله عنه– خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار، فقيل له: ما رأيناك استسقيت، فقال: "لقد استسقيت بمجاديح السماء" .. المجدح: ثلاثة كواكب مخصوصة، ونوءه يكون عزيزاً، فشبه عمر «الاستغفار» بالأنواء الصادقة التي لا تخطيء.

فهناك بلا شك ارتباطاً بين استقامة الخلائق على طريقة الهداية، وتحركات هذا الكون ونتائجها، وقدر الله تعالى في العباد.. إن رب الأسرة الصادق الإيمان ينظر للمال الحرام وكأنه قنبلة موقوته يوشك أن تنفجر فيه وفي أسرته، وتأتي على سعادته وهنائه الأسري، بل يرى في كل سلوك منحرف أثرا ومردودا سلبيا لا يستهان به على نفسه وأفراد أسرته كبروا أم صغروا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والحمد لله أمتنا أمة خير، وفيها من لا تذيبه المواقف رغم مغرياتها، وهو ثابت على مبادئه وراسخ رسوخ الجبال، فلا يبهره مكسب حرام، ولا تخدعه صفقة مضللة، ولا يضعف أمام فتنة المال أو الجاه أو القوة.

فمن مواقف الخير في الأمة أني دخلت يوما عند بائع عطور فشد انتباهي ملصق معلق في واجهة دخول المحل مكتوب عليه:

قال –صلى الله عليه وسلم– «أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» [رواه النسائي]

فأعجبني موقفه ورسوخ مبادئه التي قد يراها بادي الرأي أو ساذج الفكر أنه جرح لمشاعر قطاع من زبائنه المتبرجات، وخسارة لشريحة من رواده ربما تكون بالحجم الذي لا يستهان به، لكن لأصحاب البصائر حسابات أخرى .. إنها لفته طيبة، ونصيحة واجبة، وشفقة بمن تُقدم على معصية ربها، وهذا حال الصادقين، يحبون الخير للناس حتى لو تضررت تجارتهم بمنطق التجار، لكنها لن تتضرر حقيقة عند الرزاق الغفار.

ويحدثنا التاريخ عن عالم زمانه إبراهيم النخعي الذي كان كفيفا لا يرى، وكان تلميذه سليمان بن مهران الأعمش في عينيه عمش، فتقابلا يوما في طريق، فقال النخعي للأعمش: إليك عني، لا يتحدث الناس علينا: أعمى وأعمش، فقال الأعمش: لا علينا، نجتمع ويأثمون، فقال النخعي: «بل نفترق ويسلمون».

إنها مبادئنا الإسلامية السامية التي نعيش بها ولها، ورسالتنا للناس جميعا .. نفترق ويسلمون، ولا نربح منهم وينجون، ولا نكسب أموالهم ويفوزون .. فحب الخير للخلق باب البركة وسر النماء ودعامة الثبات، والسعيد من وفقه الله عز وجل.

ومن مواقف الخير في الأمة، أني قابلت يوما رب أسرة كان صاحب تجارة ناجحة، وكان مما أسر لي: أن سر نجاحه وبركة تجارته عزمه من أول يوم افتتح فيه هذه التجارة أن يقتطع دينارا من المبيعات آخر كل يوم، وكان يضعه في صندوق خاص، وكلما اجتمع عنده مبلغ ذو قيمة أخرجه ليتم أو مسكين أو أرملة محتاجة أو غيرها من صنوف البر .. ففدى الكثير بالقليل، وبالزهيد بارك الله في العظيم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وكما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (سبق درهم مائة ألف درهم) قالوا: يا رسول اللّه كيف يسبق درهم مائة ألف؟ قال: (رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه ماله ألف فتصدق بها) [رواه النسائي] .. قال اليافعي: "فإذا أخرج رجل من ماله مائة ألف وتصدق بها، وأخرج آخر درهماً واحداً من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه، صار صاحب الدرهم الواحد أفضل من صاحب المائة ألف درهم". وفيه دليل على أن الصدقة من القليل أنفع وأفضل منها من الكثير قال تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:٩] والدرجات تتباين بحسب تباين المقاصد والأحوال والأعمال.

ومن مواقف الخير في الأمة ذاك الأب الذي كان يعاتب ابنه المشاغب على بعض تقصيره وتفريطه، فكان مما قال له: «لماذا كل هذا الشرود، وأنا لم أطعمك يوما لقمة حرام» فاستحى الشاب من أبيه وقبل رأسه واسترضاه حتى رضي .. إن اللقمة الحرام لقمة مسمومة تؤذي تصرفاتنا وسلوكياتنا قبل أبداننا، وتأثيرها في فلذات أكبادنا أشد نكاية وإيلاما لقلوبنا، وهي نذير شؤم على الأسرة كلها، وهي أمارة المعيشة الضنك التي أخبرنا الله عنها في كتابه، {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه:١٢٤] قال عكرمة والضحاك ومالك بن دينار: "المعيشة الضنك: الكسب الحرام، والعمل السيِّئ".

ومن مواقف الخير في الأمة هذا الموظف الذي يروي قصته مع استهتاره في العمل وعدم مواظبته على الحضور للدوام، وكيف كان الجمهور يتأذون غاية الإيذاء من إهماله، وكانوا يدعون عليه لتعطل مصالحهم، وكان في نفس الوقت حياته الخاصة في غاية الارتباك، والراتب قليل البركة لا يصل به إلى آخر الشهر، إلى أن منّ الله عليه بمن بصره بخطئه في حق عمله ومجتمعه الذي يدفع له راتبه مقابل وظيفته التي أوكلها إياه، وأنه أجير عند إخوانه يخدمهم من موقعه ويقضي أمورهم ويسهل متطلباتهم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كان التزام صاحبنا الوظيفي مفتاح يمن وبركة، وبدأت أحواله تنتظم وراتبه يدخر منه، وقد كان سلفا في محنة معه، وحلت نورانية على حياته كلها، فسبحان منور البصائر وهادي العباد.

لماذا غابت هذه المعاني والمواقف عن الكثير منا، وتغافل بعضنا عن اسم الله تعالى «الرزاق» الذي بيده خزائن الأرض والسماوات {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات:٥٨]

لماذا يبحث أحدنا عن الخطأ في حياته المتعثرة، ويتغافل عن أن الخطأ في نفسه هو، وأن بصلاحها تنصلح أسرته وزوجته وولده وسائر شأنه.

لماذا نتخلى عن ثوابتنا رغم أن التجارب على مر الزمان تحكي أن التنازلات لا توصل أصحابها إلى شيء، وأن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله تعالى، وأن تحمدهم على رزق الله تعالى، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله تعالى .. إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره، وإن الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرج في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.

إن هذه المواقف الناصعة إن دلت فإنما تدل على أن هذه الأمة العظيمة أمة خير، ولن ينقطع منها الخير، وهي مواقف أشبه بمنارات الطريق التي ترد الشارد وتهدي التائه، وأن تجارب الخير وصوره معين لا ينضب، وهي تحتاج إلى عقليه مبدعة تتفهم لغة عصرها وهدي سلفها الصالح لتقدم الجديد تلو الجديد والمزيد تلو المزيد، والله هو الموفق إلى سواء السبيل.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الاحترافية .. الحاسة السادسة

ما أكثر ما وقفنا أمام صانع مشدوهين من براعة أنامله وهي تتعامل مع أدواته بانسيابية منقطعة النظير، وكم لفت أنظارنا هذا الطبيب النطاسي الذي يبادرك ببعض أعراض مرضك قبل أن تبوح أنت بها لمجرد أنه نظر فقط إلى بياض عينيك أو تفحص لون شفتيك أو طريقة مشيتك، وفي الصغر كنت أقف مبهورا أمام خباز الفطائر وهو يقذف بها في الجو وتعود إلى كفه وقد اتسع قطرها وكبر حجمها مرة تلو الأخرى حتى تصير مثل الترس، ولا أنسى أيضا منظر صراف البنك وهو يعد النقود الورقية وقد انسابت بين أصابعه بسرعة فائقة حتى يستحيل على البصر متابعتها، وهذا بالطبع كان قبل اختراع ماكينات العد الآلية التي تعج بها البنوك الآن.

إنها الاحترافية .. تلك الحاسة الخفية التي تكتسبها أعضائنا وأبداننا بعد طول تمرس وتدريب ومعايشة، ورحلة طويلة من الإخفاقات وربما الإصابات حتى تكلل في نهاية المطاف بتلك المهارة الفريدة والحاسة العجيبة.

الاحترافية أو الخبرة –كما يسميها البعض– هي الميزة المضافة إلى قدرات الشخص منا والتي تفتح له آفاق لا تفتح لكثير من أقرانه أو زملائه في العمل أو المهنة، وتضعه في مصاف المتميزين أو ربما المبدعين، وهي سر النجاح الأعظم ومفتاح التألق، وهي التي تقوم عليها الدول المتقدمة وترتكز عليها الحضارات على مر العصور، في عالم لا يعترف بالضعفاء ولا الخاملين ولا المهمشين.

العامل المدرب، والصانع الماهر، والداعية المفوه، والمعلم البارع، والعالم الموسوعي .. كل هذه النماذج وأمثالها باتت مطلب ملح للمجتمعات الناضجة والدول المتقدمة، والشركات العملاقة، حيث تخوض كل هذه الكيانات حربا ضروسا بينها من أجل استقدام المهارات والخبرات والكفاءات بصرف النظر عن لونها أو جنسيتها أو حتى ديانتها أو طائفتها.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المحترف تفتح له الأبواب الموصدة والحدود المقفلة والحواجز المحكمة، ويحظى باحترام الجميع، بل كثير من الدول تعد بعض العلماء –كعلماء الذرة والبحوث النووية– كنزا استراتيجيا وأحد أعمدة أمنها القومي، فتقيم لهم وضعا خاصا وحماية زائدة، خاصة وأن العالم بأسره يسعى لتوفير المزيد من الطاقة النظيفة وسد العجز في مصادر الطاقة الحفرية التي تتقلص يوما بعد يوما نتيجة الاعتماد الزائد عليها مع عدم تجددها في باطن الأرض.

ولا يستطيع أحد أن ينكر دور الموهبة الفطرية في مهارة الاحتراف، لكن الموهبة لا تعدو كونها بذرة صغيرة انبثقت منها شجرة عظيمة بعد طول رعاية وري وتقليم وتهذيب وتسميد حتى خرجت تلك الشجرة الباسقة النضرة. فالاحتراف ثمرة جهد ونتاج أوقات استفرغت وليالي سهرت وأعمار انقضت وعرق تصبب وجهد أضنى صاحبه .. كل هذه الأوصاف على حقيقتها دون تهويل أو تضخيم، ويكفي أن تستشعر ذلك حين تطالع الجهود المضنية للمراكز البحثية والعلمية على مستوى العالم من أجل إنتاج المركبة الأسرع والدواء الأنجع والسلاح الأردع ..

أما مقومات الاحتراف فعديدة بل ومتشابكة لدرجة أنه يصعب الاستغناء عن أحدها ومن أهمها: الموهبة الفطرية والبيئة المناسبة (نظام التعليم الرسمي، القدرة المالية للدولة لرعاية المحترفين، القوانين التي تخدم وترعى الاحتراف، التخطيط الجديد لاكتشاف المحترفين ورعايتهم، الكوادر الإدارية والتعليمية المدربة، الإعلام الواعي الذي يرعى قضية الاحتراف).

لقد باتت الأمة التي لا ترعى المحترفين أمة قفر لا نماء فيها ولا رقي، وإن تنوعت ثرواتها ومواردها الطبيعية، لأن الثروة تنضب أما العقول لا تنضب أبدا، وما أشد ما استنكر العقلاء والمصلحون ما نحن فيه الآن من بطالة لا يرضاها الله ولا رسوله ولا المؤمنون، فالأمة الإسلامية باتت اليوم خاليه الوفاض من المحترفين المبدعين إلا النذر اليسير الذي هاجر أغلبه إلى الشرق أو الغرب والباقي في انتظار ساعة الرحيل.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فعن علي –رضي الله عنه– قال: «قيمة كل امرئ ما يحسنه». وعن ابن الزبير قال: «أشر شيء في العالم البطالة». قال المناوي معلقا: وذلك أن الإنسان إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغاً ولم يبق قلبه فارغاً بل يعشعش الشيطان ويبيض ويفرخ فيتوالد فيه نسله توالداً أسرع من توالد كل حيوان، ومن ثم قيل: «الفراغ للرجل غفلة وللنساء غلمة».

ولهذا كان عمر –رضي اللّه تعالى عنه– إذا نظر إلى ذي سيما سأل: أله حرفة؟ فإذا قيل: لا. سقط من عينه. ومما يدل على قبح من هذا صنيعه ذم من يأكل مال نفسه إسرافاً وبداراً فما حال من أكل مال غيره ولا ينيله عوضاً ولا يرد عليه بدلاً؟

ويحلل أحد المختصين (أ. محمد بن احمد الشيزاوي) ظاهرة فقرنا الاحترافي بقوله: «مشكلة كثير من الشركات وعدد من الجهات في القطاع العام أنها تحسب ما تنفقه على موظفيها أكثر مما تحصي العوائد التي يحققها الموظفون، وترى أن الراتب الذي يتقاضاه الموظف نهاية كل شهر أكثر مما يستحق ولا تكلف نفسها النظر في حجم الجهد الذي يبذله.

وفي ظل علاقة متنافرة بين موظف يرى أنه لا يحصل على حقه المهني والمعنوي والمادي وبين جهة ترى أنها تعطي الموظف أكثر من يستحق تخفق كثير من الشركات والمؤسسات الحكومية في إيجاد بيئة عمل احترافية، فتسيء إلى نفسها أكثر مما تسيء إلى الموظفين العاملين فيها، إذ لا تتمكن من تحقيق النجاحات التي تصبو إليها».

إننا بحاجة ابتداء إلى أن نثق بقدراتنا ونشحذ عزائمنا ونبدأ في تنمية المواهب التي بدواخلنا وفق خطط مدروسة ومناهج متخصصة .. ويحضرني في هذا الصدد مقولة الأب لابنه: «قال لي معلِّمك أكثر من مرة إنه لا يمكن تعليمك أي شي!»، فرد الابن: «وأنا قلت لك أكثر من مائة مرة إنه معلم فاشل». فالعبرة هي أنه لا يوجد إنسان عاقل لا يمكن تعليمه أي شيء؛ فلكل منا موهبة خاصة ليتعلم شيئاً واحداً على الأقل أفضل من غيره.

الاحترافية الوهمية

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وكما هناك احترافية إيجابية هناك أيضا الاحترافية السلبية أو الوهمية .. تلك الاحترافية التي تضر ولا تنفع، وتفقر ولا تغني، وتهدم ولا تبني، وتفسد ولا تصلح، كاحتراف الدجل والشعوذة واحتراف النصب والسرقات الالكترونية .. والعديد من الصور والأشكال للإفساد في الأرض الذي نهانا الله تعالى عنه أشد النهي.

ومن أسوأ مظاهر الاحترافية السلبية الكلام في كل شيء والخوض في كل الموضوعات دون علم فيها يذكر ولا خبرة تؤثر .. لقد احترفنا الكلام والتحليل والنظير والنقد والاعتراض في الوقت الذي مازلنا نستورد سجادة الصلاة وفانوس رمضان من الصين، وباتت وارداتنا أعظم بكثير جدا من صادراتنا، والعالم يعمل في صمت وأكثر البقاع الساخنة في العالم –للأسف– إسلامية.

إن مسألة الاحترافية لابد أن تتصدر قائمة أولوياتنا التعليمية والاقتصادية والتخطيطية، لأنها الضمان الوحيد لحياة أفضل ولرخاء منشود، وهي أولى من الانغماس في مشاكل الدعم والخط الاقتصادية والبنية التحتية التي حولتنا إلى مستهلكين أكثر منا منتجين.

يذكر أن نهرو قائد الهند لما شرع في بناء مدينة تكنولوجية تهتم بالأبحاث الإلكترونية والرقمية الحديثة، كانت الهند وقتها تعج بالفقراء الذين ينامون على أرصفة الشوارع من كثرتهم، فسأله يوما أحدهم أثناء جولاته في ربوع الهند: كيف يعقل أن تنصرف الهمة وموارد الدولة لبناء مدينة تكنولوجية والفقراء بالملايين. فرد عليه نهرو بكلمات واثقة: نحن نؤسس هذه المدينة لكي نطعم الجياع.

حقا بالإنتاج والريادة يتحقق الرخاء، ولأن تعلمني الصيد خيرا من تعطيني سمكة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

العجوز الحائر

كان تاجرا نشيطا ملأ الدنيا ضجيجا بين صفقات وأرباح، وسفريات وجولات قضاها صاحبنا طيلة عمره .. كانت الأمور مواتيه والعزيمة متقدة والإنجازات تتوالى وأيام العمر أيضا تتفلت والصحة تخفت شيئا فشيئا حتى أدرك الستين وهو لا يشعر إلا والطبيب يضع له قائمة بالممنوعات كي لا يرتبك ضغط دمه، وتنتظم معدلات سكره، ولا تتعقد خشونة ركبته !!

أما النصيحة الكبرى والمهمة العظمي فهي أن يصادق الراحة ما تبقى له من عمره، وهذا معناه أن يتخلى عن صخب صفقات حياته التي تعود عليها، وأن يسند هرم إنجازاته لأولاده كي يستكملوا البناء ويواصلوا المسيرة.

بدأت حياة من نوع جديد .. حياة رتيبة مملة في إيقاعاتها ونظامها، فالوقت يسير ببطء، والأحداث اليومية مكرره، والنوم لا يأتي إلا بصعوبة بالغة، والذاكرة لا يشغلها إلا مواعيد أخذ الدواء.

قرر صاحبنا العجوز أن لا يستسلم لسجن الفراغ الإجباري الذي فرضه عليه العمر، وأخذ يبحث عن صداقات يقضي معها أوقاته، فيمم وجهه شطر النادي يحادث هذا ويتعرف على ذاك لكن لم يقبله إلا مجموعة من أقرانه أصحاب سن التقاعد الذين لا حديث لهم إلا عن ذكريات الشباب ومعاناتهم مع أمراض الشيخوخة، وتجاربهم مع الدواء والأطباء .. جو كئيب لم يتعود عليه العجوز الجديد، ولم تستمرئ نفسه أن يعيش معهم في آخر عربة من قاطرة الحياة .. تلك الحياة التي كانت تنبض سلفا بالحيوية في كل جزء من كيانه ووجدانه.

غادر صاحبنا العجوز النادي ليبحث عن أصدقاء أكثر طلاقة فيمم وجهه صوب العائلة التي كانت بعيدة كل البعد عن حساباته ومشاغله، فوجد في زياراته الأولى لهم ترحاب الأهل وعبق القرابة وود الرحم، لكن مع تكرار الزيارات أحس بفتور المقابلة واضمحلال الترحاب .. فهذا مشغول مع مذاكرة أولاده، وذاك يعمل فترة مسائية

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ويعود إلى بيته منهك القوى يحلم بالنوم، ولا يجد متسعا للضيافة، وقديما قالوا: «زر غبا تزدد حبا».

لم يجد صاحبنا العجوز بدا من أن يبحث عن أصدقاء الشباب لعله يجد ضالته، فوجد أعز أصدقاء الصبا يمتلك دكانا متواضعا يمارس فيه التجارة، فكان يذهب إليه كل مساء يجلسا على باب الدكان ويتبادلا أطراف الحديث، لكن بعد فترة أحسن أن صديقه بدأ يتململ منه، فالمحلات أسرار وأصحابها يتضايقون كثيرا من مراقبة زبائنهم أو متابعه عد النقود.

وفي رحلة قتل الفراغ جلس العجوز مع بائع دخان، وآخر حرفي أمي، واليوم في قهوة، والغد في أخرى .. والنفس لا تجد ضالتها وسط مجتمعات سطحية التفكير مبتذلة التصرفات .. واستمرت المحنة واشتد الأزمة التي انتهت به إلى كارثة نفسية عزلته عن الدنيا بأسرها.

عجيب أمر هذا التقاعد الذي بات محنة تطارد الكثيرين.

والأعجب من هذا صاحبنا العجوز وأمثاله الذين يصنعون أزمات في أنفسهم دون داع ولا مبرر يذكر.

فهذا العجوز الحائر طاف الأرجاء، وجال في كل مكان، بحثا عن الأنس، ولم يخطر بباله أن يبحث عنه في «المسجد».

نعم المسجد .. بيت الله في الأرض، ومحل الذاكرين، وموئل الخاشعين، ومراح الطائعين، ومستراح المهمومين.

عمار المساجد ضيوف رب العالمين، وخير من تصادق في الأولين والآخرين، لأن صداقتهم في محبة الله تعالى الباقية لا في محبة دنيا الزائلة .. قال تعالى: {الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف:٦٧]

ما أحلى حلقات التلاوة بعد صلاة الفجر أو بين المغرب والعشاء حيث يجتمع الأحباب ويتناوبون تلاوة صفحات المصحف بين صوت جميل وتعليق جزيل.

ما أجمل الصلاة في جماعة بالصف الأول، والذكر آناء الليل وأطراف النهار، ودروس العلماء، وحديث الأتقياء.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

في التبكير للصلاة لذة لا تدانيها لذة، وفي المشي في ظلمات الفجر والعشاء نورانية لا تعدلها نورانية، وفي تجديد الوضوء طهارة لا تدانيها طهارة.

في المسجد تستثمر ما تبقى من العمر، وتدخر زادا للقبر، وتكنز رصيدا ليوم الحشر .. قال ابن جريج: "كان المسجد فراش عطاء بن أبي رباح عشرين سنة".

لكن المسجد بالنسبة لهذا العجوز كان قضية غامضة، ومسألة لم ترد على خاطره، لأنه عاش حياته كلها بدون رسالة سامية وهدف نبيل .. عاش حياة لا يعرف فيها إلا نفسه وذاته وأحلامه وطموحاته .. أردته «الأنا» قبل أوان موته، فعاش في الحياة خاويا إلا من دنياه الخاصة، فلما فارقته وجد نفسه عاريا، ومن أحداثها خاليا، فصال وجال هنا وهناك، يبحث عن تلك الدنيا، ويلتمس ودها، ويؤمل صلحها، ولما أدرك أن عجلة الأيام لا تعود للوراء أبدا، جلس يبكي على دنياه التي هجرته وأيامه التي فارقته.

أما أصحاب الرسالات السامية والأهداف النبيلة أعمالهم كلها لله الذي لا تنقطع صلته، ولا يعرض أبدا عن أوليائه.

إن هجرهم يتيم كانوا يعطفون عليه، لا يؤلمهم الهجر، لأن أجرهم على الله تعالى لا على ذاك اليتيم.

وإن تنكر لهم مسكين كانوا يغدقون عليه، لا تزعجهم القطيعة، ما دام حبل الله موصول.

{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً} [الإنسان:٩-١١]

وإن قطعهم رحم يصلونه لا يقابلونه إلا بمزيد صلة، رغبة في حفظ الله تعالى وتأيده، عن أبى هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابةً أصلهم ويقطعوني، وأُحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلمُ عنهم ويجهلون علي. فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسفّهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك» [رواه مسلم].

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

العمل لله لا يعتريه نصب وإن اشتد الجهد، ولا يشوبه إملاق وإن تعاظم البذل، ولا يعقبه حزن وإن تناهى الهجر ..

فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والأنام غضاب**

وليت الذي بيني وبينك عامر * وبيني وبين العالمين خراب**

إذا صح منك الود فالكل هين * وكل الذي فوق التراب تراب.**

إن رسالة الحياة «حياة» .. حياة لا يزعجها تقاعد، ولا تقلقها الوحدة، ولا ينغصها فراق .. بل هي حياة ممتدة لا يفنيها مرض ولا هرم ولا حتى الموت لأن ما عند الله خير وأبقى.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المحسوبون على الإسلام

كانت تبحث عن الحويصلة المرارية لجدي باهتمام بالغ، فسألتها في فضول، ماذا ستصنعين بها؟ فأجابتني أن لها ابنة شابة في الجامعة، وتعاني من ظهور شعر زائد في ذقنها، ووصف لها بعض المجربين دهان موضع الشعر الزائد بمرارة جدي ليمنع ظهور هذا الشعر تماما.

وبعد عدة أشهر جمعتني بهذه الأم الحنون مناسبة، فسألتها عن نتيجة هذه الوصفة مع ابنتها؟ فأخبرتني أنها فشلت في منع الشعر من النمو، وأن ابنتها ارتدت نقاب الوجه.

دار بخلدي في تلك اللحظة مدي التخبط السلوكي الذي يمكن أن يحدث من مثل هذه الفتاة التي ارتدت الحجاب عن غير قناعة دينية، ولغرض آخر غير الالتزام بهذا الدين وإتباع منهج رب العالمين، فلا مانع عندها أن يكون لها صحبة أصدقاء من شابات وشباب كحال بعض الفتيات في الجامعات المختلطة، ولا حرج لديها أن تشترك في حفل غنائي أو رحلة خلوية مشتركة أو تنضم لأسرة وجماعة ذات فكر ليبرالي علماني، بل ربما يتطور الأمر فترتاح لزميل لها و يكون بينهما أحاديث وأسرار و لقاءات تحت شعار الزمالة والحرية وهي في كل هذه الأمور تسيء للإسلام بسلوك مشين عن قصد أو عن غير قصد.

وأمثلة هؤلاء المحسوبين على الإسلام كثيرة ومتنوعة، فهذا سيء السمعة بارتكابه الكثير من الموبقات، ينظر بعد طول عمر ليجد أنه قد أساء بسمعته تلك لبناته اللاتي لم يتقدم لهن أحد وأشرفن على العنوسة فلا يجد مناصا من أن يطلق لحيته ويرتاد المساجد ليحسن من سمعته السيئة التي كانت وبالا على أسرته وليدرك بهذا السلوك الشكلي زوجا لبناته قبل فوات الأوان، كل هذا دون رغبة حقيقية في توبة صادقة وإيمان حقيقي، وآخر بعد سنوات سجن في حادثة مخلة بالشرف لا يجد إلا عباءة الدين ليرفع بها خسيسته أمام الناس ...والأمثلة كثيرة ومتنوعة، والمحصلة مظاهر

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

جوفاء وسلوكيات شوهاء تؤثر سلبا على المظهر العام للدين بطهارته وصفائه، كما تطلق ألسنة الحاقدين باللوم على أهل الالتزام والتدين.

وخطورة هؤلاء الصنف من الناس أنهم يقدمون للبسطاء بهذا السلوك المشين قدوة سيئة تنفرهم من الدين والتدين {لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ} [النحل:٢٥]

ومع كون هذا العمل فرع من فروع النفاق إلا أنه ينضم إليه أيضا وزر أنهم أرادوا بطاعتهم وجه الناس لا وجه الله تعالى وجعلوا الله عز وجل أهون الناظرين إليهم، هذا فضلا عن الخسارة في الدنيا والآخرة، وفي الحديث (بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب) [رواه أحمد عن أبي وهو صحيح]

وعن كعب القرظي، عن نوف البكالى . وكان يقرأ الكتب . قال: إني لأجد أناسا من هذه الأمة في كتاب الله المنزل، قوما يحتالون للدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر، يلبسون للناس مسوك الضأن وقلوبهم قلوب الذئب يقول الرب تعالى: (فعلي تجترؤن، وبي تغترون، حلفت بنفسي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم منهم حيران).

قال القرظي تدبرتها في القرآن فإذا هم المنافقون، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦] {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج:١١] [حلية الأولياء]

أما خطؤنا الأكبر أننا نحكم على الدين سلبا بسبب هذه التصرفات الغير لائقة من المتظاهرين به والمحسوبين عليه، وفي خضم التسخط ننسى أن الدين دائما حاكما وليس محكوما، قائدا وليس مقودا، لا عصمة فيه لأحد بعد الحبيب المصطفى صلى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الله عليه وسلم ولا قداسة فيه لفرد مهما علا منصبه أو جاهه أو سلطانه، وكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم.

وكفانا أن نقول لكل طاعن حاقد مكنته تصرفات هؤلاء الدخلاء من أن يسلقنا بألسنة حداد: إن هذا السلوك الخطأ ليس من الدين في شيء ولا يرضاه الله ولا رسوله حتى وإن أتي به من كانت لحيته إلى سرته أو من كانت سدالها ترخيه على الأرض ذراعا، قال سيدنا علي كرم الله وجهه: «إن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله»

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أين عهودكم ووعودكم

بعد مرور أكثر من خمسة عقود على تولي العلمانيون مقاليد الأمور في غالبية بلادنا العربية والإسلامية خرجت التجربة العلمانية بنتائج هزيلة ورافقها الفشل في كافة القطاعات وأيقن الجميع أن العلمانية ما كانت إلا أكبر أكذوبة عاشتها المنطقة بأسرها.

ولو عدنا بالتاريخ إلى الوراء لا أستطيع أن أصف لكم حجم هذه الضجة والجلبة التي أحدثها العلمانيون إبان توليهم أي وزارة أو إدارة .. عهود ووعود أن الفقر أصبح لا مكان له وعصر الرخاء قادم، وأن زمن الذل والاستعباد قد ولى فلا عودة إلى الظلام ولا عودة إلى الاستبداد وكبت الحريات، ولن يقصف قلم أو تغلق جريدة.

ولقد حرص العلمانيون في بداية تجربتهم العملية على تجنيد الإعلام وعلمنته ليكون أكبر بوق على مدى التاريخ يتشدق صباح مساء بالنهضة المزعومة وأبعادها، ويتغنى بها ولها في كل حين، ويتصدى لكل رأي مخالف ليلتهمه التهام الأسد لفريسته.

وعلى خشبة المسرح الإعلامي قُدم الأقزام أصحاب الأمجاد والانجازات الوهمية الزائفة، الذين لا يعرفون في حياتهم إلا أساليب الوصولية والنفعية والانتهازية ودقة اختيار القناع المناسب لكل موقف ومناسبة، في حين خمدت كل قصة كفاح حقيقية وكل مشورة صادقة، واستبدلت رموز المجتمع من العلماء والفضلاء بالفنانين ولاعبي الكرة حتى صارت تبرعات الخير تجمع في الحفلات الراقصة الماجنة والمباريات المبتذلة، هذا بالإضافة إلى الأحاديث التافهة عن روعة ومعاناة فنانة ما في دورها الأخير في فيلم فاضح أو عن تاريخ موهبة لاعب كرة بداية من اللعب في الشوارع والحارات وكيف وصل بكفاحه الدامي إلى ساحات كأس العالم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أضف إلى هذا الإحياء المتعمد لكل معالم الحضارات السابقة على تاريخنا الإسلامي المجيد من فرعونية وآشورية وفينيقية وغيرها وتمجيد المادية بكافة صورها مع طمس كل ما هو إسلامي وكل ما يمت بصلة . ولو من بعيد . للإسلام

ولا حرج أن نجد بين الفينة والفينة عبارات الغمز واللمز لهذا الدين وقيمه وحضارته التي أجمع العلمانيون قاطبة على أنها لم تكن إلا «حضارة رمال وسيف ودماء» كل ذلك في خضم حديثهم عن ثوراتهم الوهمية كثورة الصناعة وثورة الزراعة، والثورة في التعليم التي دفعت العالم العربي للقرن الجديد بسبعين مليون أمي لا يعرفون القراءة ولا الكتابة في عصر البرمجيات والتقنيات العالمية

وكانت قضية المرأة المحور الثاني الذي لم يغفل عنه العلمانيون لأهميته القصوى، فلقد نصبوا من أنفسهم . دون طلب من أحد . محامين للدفاع وبشراسة عن حقوق المرأة المسلوبة بزعمهم ومحاولة استردادها من يد الرجعيين والانهزاميين والمتأخرين، وفي كل هذا هم يقصدون الإسلاميين بدون شك.

لقد كانت المرأة أكبر ضحية لهؤلاء بعد أن غُرر بها ودُفعت إلى بحر خضم في معركة لا أساس لها بينها وبين الرجل كانت نتيجتها أنها أصبحت امرأة ورجل في وقت واحد فأصبح مقياس تحضرها هي ما تستطيع القيام به من أعمال الرجال، وكأن مقياس تحضرها ومدنيتها يرتفع كلما تنازلت عن أنوثتها لتجد نفسها في النهاية مكلفة بأن تقوم بكل دور لها في البيت كأم وزوجة ومربية بالإضافة إلى أعمالها خارج المنزل، والعجب أنهم بعد ذلك يطالعون بإحصائيات وأرقام تقرر بأن ازدياد معدل الجريمة والعنف والانحراف بين الشباب يرجع إلى خروج المرأة للعمل وانشغالها عن مهامها في البيت لتجد نفسها في النهاية متهمة دائما، مدانة دائما.

وفي إصرار عجيب أخرجوا المسلمة من حجابها وافتخروا بعريها في الطرقات مدعين أنه أول طريق الحرية والنهضة ولا أعرف حتى الآن ما علاقة حرية ونهضة أي أمة بنزع حجاب نسائها، وتاهت المسكينة في أمواج الموضة والتسريحات والبارفانات في محاولة يائسة للبحث عن الحرية والسعادة ولكن هيهات هيهات ولعنة الله كانت تلاحقها صباح مساء بتنازلها عن عفتها التي هي أغلى ما تملك.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وعلى صعيد الناحية الاقتصادية ندع لغة الأرقام تتكلم كي لا يظن أي شخص أننا نتجنى على أحد، وما عليك إلا أن تتابع الإحصاءات عن معدلات البطالة والفقر والجريمة والعنوسة وأزمة الإسكان وحجم المديونات الخارجية لينتابك الذعر وتقول يا الله ماذا فعل بنا هؤلاء و هي أين عهودهم ووعودهم؟!

لقد أثبتت الأيام أننا عشنا ردحا من الزمن في خداع كُممت فيه آلاف الأفواه وسجنت فيه أكابر القيادات، وشردت فيه العديد من الأسر، وكم استبان لكل ذي لب اليوم أنهم هم الشرفاء المخلصين وما كانوا يوما أعداء للأمة ولا حاقدين ولا مارقين.

وفي النهاية فإننا نقول لهؤلاء العلمانيين: إنكم بوعودكم وعهودكم الزائفة خلقتم في مجتمعنا موجة من الزيف طغت على كل شيء حتى أصبحت سمة العصر وكنا في غنى عن كل ذلك وإنكم بكل زيفكم لم تزيدونا إلا مزيدا من الضعف ... مزيدا من الإحباط ... مزيدا من الانهزامية.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

توظيف الإحباط

نتيجة كل المحن والأزمات التي تتعرض لها أمتنا، انتابت كافة طوائف الشارع العربي والإسلامي صدمة قاسية خلفت حالة من الإحباط أخرس الأفواه بصورة غريبة، فما عادت تناقش أمور وهموم أمتها المنكوبة إذا ما جمعتها اللقاءات والمنتديات، وعزفت النفوس عن سماع نشرات الأخبار وتقييم ما يستجد من أحداث، وكأنه كان مشهد جنائزي مؤثر انتهي وانصرف الجمع بعده حزين يائس عازم على قطع كل صلة تربطه بالأحداث والانشغال بأموره الحياتية الشخصية بعدما أصبح حتى مجرد الكلام والمناقشة لا نجني منه غير جفاف الحلوق ووجع القلوب.

لقد قضى الإحباط حتى على مشاعر الاستياء والهلع التي كانت تبدو على قسمات الوجوه إذا ما طالعت صور ضحايا المسلمين على شاشات التلفاز وصفحات الجرائد والمجلات.

قضى الإحباط حتى على السؤال الذي كان يتسرب داخل النفوس دون شعور منها، ماذا لو حدث هذا الموقف أو ذاك لابني أو زوجتي أو أخي أو أختي

بل وقضى الإحباط على كل خلاف كان يستعر إذا ما فتحت أبواب المناقشة حول أسباب ما نحن فيه لتتعدد الأسباب حسب اختلاف الرؤى والاتجاهات والثقافات حتى غاب صوت الحق: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران:١٦٥] {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى:٣٠]

لقد علت همم شياطين الإنس في إتباع الشهوات والشبهات، فلا هم لهم إلا بطونهم وفروجهم لا يبالون أكان من حلال أم من حرام، وفي حلال أم في حرام، ومع تقدم وسهولة وسائل الإفساد تفنن الناس. إلا من رحم ربي. في المعاصي مما لا عهد للبشرية به حتى صرنا نسمع من الجرائم ما لا يصدقه عقل.

إننا في حاجة لتوظيف ما يسودنا من إحباط في قمع الشهوات والشبهات .. إننا في حاجة لأن ننقل كل هذا الإحباط إلى الجانب المظلم من حياتنا لينمو ويرتع فيلتهم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كل سيئة ويردع كل عزم على المعصية، وهذا هو سر من أسرار تفوق السلف الصالح، إحباط وفتور في الشر مع علو همة في الإقدام على الخير.

كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال أعوذ بالله من شر هذا الراكب فنزل فقال له أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم فضرب سعد في صدره فقال اسكت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي» [رواه مسلم]

لما مات سليمان بن عبد الملك وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه خالد بن الريان متقلدا سيفه في اليوم الذي استخلف فيه عمر فقال له عمر: يا خالد انطلق بسيفك هذا فضعه في بيتك واقعد فيه فإنه لا حاجة لنا فيك، أنت رجل إذا أمرت بشيء فعلته لا تنظر لدينك فلما ولى خالد نظر عمر في قفاه فقال اللهم يا رب إني قد وضعته لك فلا ترفعه أبدا فما لبث خالد إلا جمعة حتى ضربه الفالج فقتله.

وإسحاق بن راهويه الذي قال فيه الدارمي: ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه، وقال فيه أحمد بن حنبل: لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيرا. قال أبو يحيى الشعراني: كنت إذا ذاكرت إسحاق العلم وجدته فيه بحرا فردا، فإذا جئت إلى أمر الدنيا رأيته لا رأي له.

وهذا أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري الذي قال فيه ابن المبارك: ما أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان، وقال شعيب بن حرب: إني لأحسب أنه يجاء غدا بسفيان حجة من الله على خلقه يقول لهم لم تدركوا نبيكم قد رأيتم سفيان، لقد بلغ بسفيان من الإعراض عن زخارف الدنيا والشغل بالعلم أن استبد به الجوع ، قال أبو شهاب الحناط: بعثت أخت سفيان الثوري معي بجراب إلى سفيان وهو بمكة فيه كعك وخشكنانج فقدمت مكة فسألت عن سفيان فقيل لي إنه ربما يقعد دبر الكعبة مما يلي باب الحناطين قال أبو شهاب: فأتيته هناك . وكان لي صديقا . فوجدته مستلقيا فسلمت عليه فلم يسائلني تلك المساءلة ولم يسلم علي كما كنت أعرف منه فقلت له: إن أختك بعثت إليك معي بجراب فيه كعك وخشكنانج، قال: فعجل به علي، واستوى جالسا، فقلت: يا أبا عبد الله أتيتك وأنا صديقك فسلمت عليك فلم ترد علي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ذاك الرد فلما أخبرتك أني أتيتك بجراب كعك لا يساوي شيئا جلست وكلمتني ؟ فقال: يا أبا شهاب لا تلمني فإن لي ثلاثة أيام لم أذق فيها ذواقا، وصدق النضر بن شميل إذ يقول: لا يجد الرجل لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه.

قال ابن أبي حاتم: كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ وبالليل: النسخ والمقابلة، فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا فقالوا هو عليل فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا فاشتريناها فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس فلم يمكنا إصلاحها ومضينا إلى المجلس فلم نزل حتى أتى عليها ثلاثة أيام وكادت أن تتغير فأكلناها نيئة، لم يكن لنا فراغ أن نعطيها من يشويها، ثم قال:لا يستطاع العلم براحة الجسد.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عندما يوضع السم في العسل

غريب أمر بعض رجال الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي الذين يحاولون تغيير مفاهيم طاهرة ومعايير ثابتة شب عليها الصغير وهرم عليها الكبير وارتضها الفطر السوية والعقول الذكية، وأقصد تحديدا نموذج القدوة المثلى التي ينبغي أن تقدم لكافة الطوائف وشرائح المجتمع، والمحاولة المستميتة من هؤلاء لتغيير معالمها بما لا يرضاه عقل ولا نقل.

فكثير من الأفلام والمسلسلات تعرض نموذج الفتاة المؤدبة في صورة فتاة المرحلة الثانوية أو الجامعية الخجولة، وقد عقدت شعرها ضفيرتين وسترتها إلى نصف الساق تحمل الكتب في حنان واهتمام على صدرها وتمشى لا تعبأ بمعاكسات الشباب لها، بل وتستنكر على رفيقتها إذا التفتت لتنظر لأحدهم.

وفي مشهد آخر تجد علاقتها بزملائها الشباب علاقة بريئة داخل أسوار المدرسة أو الكلية فقط كل أحداثها تدور حول الدروس والمذاكرة ولا يظهر منها إلا كل حدة وفظاظة عندما يخرج أحد زملائها عن هذه الجادة ليحدثها عن المشاعر والعواطف.

أما المعلم فما أكثر ما تعرض للتشويه وأذكر أحد القنوات العربية وقد عرضت في أحد مسلسلاتها قصة الحرب الضروس بين مدرسة الموسيقى بالمدرسة ومدرس اللغة العربية الذي ظهر بمظهر الرجل الجلف القاسي ذي الهندام القديم الذي ألف الجمود والعكوف على أنشطة طلابية بالية كفن الخطابة وندوات الشعر العربي وبالطبع كان نصيب مدرسة الموسيقى النصيب الأوفى من التحرر والجمال والرشاقة وحسن المظهر والهندام واللطف والرقة وحب الطلاب لها.

وعن صورة رجل الدين فحدث ولا حرج، فمن أشهر صور الاستهزاء به صورة المأذون الذي ياي في نهاية الفيلم عقد زواج البطل بحبيبته البطلة ويظهر وهو يرطن بالعربية الفصحى في تكسر واستهزاء ولا هم له إلا العشاء السمين وخطف المنديل الذي يعقد به العقد، ولا مانع من أن يشارك الحاضرين رقصة أوربية بصورته الدينية وحركاته الكوميدية وقد صار مثالا للتخلف والسخرية في حين يظهر بطل وبطلة الفيلم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أصحاب التعليم الأوربي الراقي في صورة مهندمة وقد أجادا قواعد فن الإتيكيت والتحضر.

ومن الغريب العجيب تلك المحاولة الدءوبة لتقديم رموز للمجتمع وأقطاب لا يمتون للمجد والكفاح بصلة والمتمثل في تلك الحوارات العديدة التي تجري مع المغنيين والمغنيات والراقصين والراقصات والممثلين والممثلات لتنهال الأسئلة على هؤلاء النجوم بزعمهم عن رؤيتهم للفن ومستقبله وأطروحاتهم لحل مشكلة الأغنية أو أزمة السينما أو معاناة المسرح، والطرق المثلى للوصول للعالمية، ويندمج النجم ليقضى ساعات وساعات في شرح تاريخ حياته البطولي وكيف وصل للمجد ورسالته العليا في عرض الحب والغرام بصورة عصرية خرج بها عن الصورة التقليدية البائدة، ومدى المعاناة التي لاقاها في فيلمه الأخير أو أغنيته المشهورة، وأول أجر حصل عليه وآخر أجر أيضا ليسيل لعاب الشباب الطموح ويتمنى النجومية السهلة في عالم الفن لينال الثروة والشهرة.

ثم يخرج عليك إعلامي آخر ببرنامج يؤرخ فيه لأهل الفن وفي كل حلقة يقدم تاريخ أحدهم أو إحداهن، أسمها وشهرتها وأين ومتى ولدت ومشوارها الفني مع الرقص أو الغناء وكيفية الصمود النموذجي أما معارضة العائلة وأبرز اللمسات الفنية في رقصها أو غنائها وأشهر من قابلتهم وذكريات لا تعد ولا تحصى مع المشاهير كل هذا في اندماج وانفعال وكأنه يحدثنا عن سيرة الإمام البخاري مثلا ورحلته في طلب الحديث ومعاناته في تأليف صحيحة المشهور وورعه وزهده وعبادته.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في الأحاديث الصحاح: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع» [رواه أحمد، صحيح الجامع] «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج، وهو القتل» [رواه أحمد، صحيح الجامع] «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه» [رواه أحمد، صحيح الجامع] أي ميتاً حتى أنجو من الكرب ولا أرى من المحن والفتن وتبديل وتغيير رسوم الشريعة ما أرى فيكون

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أعظم المصائب الأماني وقد قال ابن مسعود: سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه.

وإن كانت هذه السياسة الخبيثة يمكن أن ينجوا من شراكها الكبار الذين حنكتهم التجارب وصقلتهم الأيام فكيف ينجو منها الصغار من شباب الأمة، تلك النبتة البريئة والبرعم الأخضر الذي يساهم هذا النوع من الإعلام الماكر في تشكيل فكره وتحديد اتجاهاته ورغباته وطموحاته، ولذلك كان على كافة وسائل الإعلام الإسلامية عاتق كشف عوار هؤلاء الخبثاء لجيل الأمة ورد الجميع إلى رحاب القدوة الإسلامية المثلى الطاهرة والمتمثلة ابتداء في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الفضلاء رضوان الله تعالى عليهم وعلمائها الأجلاء {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتتقُواْ لاَ يَضُرُكُمْ كَيدُهُم شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْملُونَ مُحيطٌ} [آل عمران: ١٢٠]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لغة الورد .. أبجديات عالمية

للورد لغة خاصة لا تقرأ أبجدياتها العين المجردة بل تقرئها المشاعر .. لغة عالمية حرة طليقة بعيدة عن قيود الحروف وتصاريف النحاة وركاكة المترجمين .. لغة قاموسها مستودع في الوجدان الداخلي للبشرية جمعاء، ومطلع على معانيها البشر كافة قارئهم وغير قارئهم .. لغة لا تستعص على الفهم لأنها تنساب مع الأحاسيس، فلا تحتاج إلى جهد العقول ولا نباهة الفكر ولا براعة الاستقراء ولا جودة الاستنباط.

وهي لغة حية تتسم بالتدفق منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها إلى يوم البعث العظيم .. وتكاد لغة الورد تستحوذ على جميع الأفئدة إلا من غلظ منها وقسي فهي كالحجارة أو أشد قسوة.. فبليد الطبع لا يفهم مفرداتها، العتل الجواظ الجموع المنوع الذي لا يستشعر الجمال.

وألوان الورد على تنوعها واختلاف درجاتها تبهج العين وتشرح الصدر، وتتألق في الطبيعة الغناء بمظهر أنيق يعجز أي فنان أن يحاكيه بريشته وأصباغه مهما أوتي من براعة وإتقان. أما الزهور الصناعية فهي مسخ بجوار شذى الورد الفتان، وكيان مشوه بجانب بهائه الأخاذ، وصنعة رديئة بجوار صنعة الخالق تباك وتعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[لقمان:١١]

أما عبق عطر الورد فهو مستراح المتعبين وسلوى المكتئبين وملاذ العاشقين وأنس الوحيدين، ويكفي من روعته أن أذعنت له كل مستحضرات العطر الصناعية، واعترفت له بالفضل والتفرد.

والورد عموما مبهج للنفوس، ومحرك مكامن الأمل والتفاؤل فيها، ولا تكاد تجد أحدا يتشاءم منه، حتى ولو تواجد في أصعب المناسبات، كمرض الخلان، فنجد الورد مخففا للأحزان، مضفيا على المكان عبق النظارة والشباب تيمنا بشفاء الحبيب أو القريب.

وتكاد عادة شراء الورد الطبيعي تستحوذ على كافة المجتمعات الحضارية الراقية، ومعلما من معالم تأنقها ورفاهيتها، وتاجر الورد يتمتع بوجاهة بين أفراد تلك

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المجتمعات عن سائر التجار حتى ولو كانوا تجار الذهب والألماس، أما زارع الورد البسيط فمحال أن يعير بين الناس بدناءة حرفته، لأنه ببساطة متناهية رجل يفهم لغة الزهور، تلك اللغة التي لم يتعلمها في كلية الألسن، بل اكتسبها من معايشة ما هو محبوب لكل النفوس.

ولا يكاد يوجد مكان إلا وللورد فيه موضع يناسبه، في ردهة البيت وغرفاته وشرفاته، وفي المكاتب، والمحلات، والطرقات، والساحات، وأسطح البنايات، وحتى المستشفيات .. بل لا تكاد توجد في حياتنا مناسبة إلا والورد يناسبها فرحا أو حزنا، أما فرحا فلإظهار البشر بالفرحين، وأما حزنا لتخفيف الهم عن المحزونين.

والحديث عن الورد ساحة الشعراء ومنتدى الأدباء وميدان البلغاء، فيه يستعرضون براعتهم اللغوية، وأحاسيسهم الراقية، وأشجانهم العذبة الفياضة، فتفننوا فيه وصفا ومدحا وثناء وعشقا وهياما وغراما.. ولا تكاد تجد أديبا إلا ذكره ولا شاعرا إلا مدحه.

والورد من أجل الهدايا وأجمل العطايا، التي تذهب دغل الصدور، وتقضي على الوحشة والنفور، ولذلك وصفه الأطباء النفسانيين لمرضاهم، والخبراء الاجتماعيين لكل زوجين ورحمين ومتخاصمين ومتهاجرين ومتنافرين، فهو خير رسول بين القلوب، وعلامة السلام والصفاء، والتواصل بالحب والإخاء.

ورحيق الأزهار كم كتبت فيه أشعار، وتناولته الأفكار، وتداولته مجاميع النحل المختلفة فأخرجت منه أطيب الأطعمة، شراب عسل مختلف ألوانه، فيه شفاء للناس، منحة من الكريم المنان رب الأرض والجنان، الذي امتن على عبادة في القرآن، بالوحي إلى النحل بسنته في الأكوان: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[النحل: ٦٨-٦٩]

وأخيرا فالورد ذروة سنام الجمال الذي أشاد به الوهاب المنان، والنبي العدنان – صلى الله عليه وسلم–، فقال تعالى: {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ }[النحل:٥-٦] وقال تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ }[الحجر:١٦]

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس».[رواه مسلم:١٣١]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

نجوى والقدر المحتوم

جاءتني أمها وهي في حالة نفسية يرثى لها، قد انهمرت عيناها بالدموع حتى كادت لا ترى موضع قدمها .. سألتها مشفقا: ماذا حدث يا أم نجوى؟ فقالت: ابنتي نجوى .. علة حياتي ومنبع معاناتي، جئتك للتو من عند مدرسها الخصوصي وأخبرني أنها تشق طريقها في التعليم بصعوبة بالغة، وأن تحصيلها الدراسي بطئ للغاية، وأنه بذل معها قصارى جهده دون جدوى، واقترح علي أن تجلس في البيت تخدم أخواتها أفضل لها من معاناتها مع الدراسة، والتي يمكن أن تسبب لها عقدة نفسية لا تحمد عقباها.

مسحت دموعها وأردفت قائلة: كنت أتمنى أن تسير في التعليم كأقرانها وأخواتها.. بل كنت أتمنى أن تنال أرقى الشهادات وترتقي أعلى المناصب.. ولكن ما حيلتي؟!.

لم أجد سوى كلمات الصبر وتجديد عقيدة الرضا بالقضاء والقدر في نفس أم نجوى المكلومة.. وغادرت الأم المسكينة وقد توشحت بإيمانها بقضاء الله وقدره ورضيت بنصيبها من ابنتها الغالية التي كانت أول فرحتها، رزقت بعدها بخمس بنات كلهن متميزات في التعليم، خاصة الابنة الثانية التي تفوق نجوى جمالا ومهارة في تحصيل دروسها.

جلست نجوى صاحبة العشر سنوات في البيت لا تعرف غير الروتين اليومي من تنظيف وترتيب وطبخ وغسيل، وكلما التقيت بأمها أسألها عن أحوال نجوى الغالية، فتخبرني الأم –وكلها شفقة عليها– بأنها تعاني نفسيا من إخفاقها في التعليم، وفي ساعات عديدة تمسك بكتاب من كتب أخواتها وتحاول القراءة فيه، أو تخط بقلم على ورقة بيضاء بعضا من خواطر أو رسومات معبرة .. لا شك أنها في محنة، ولكن ما عساي أن أفعل لها أكثر مما فعلت.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مرت الأيام سراعا .. بل أسرع مما أتصور، وكبرت نجوى، وصارت فتاة يافعة تتوهج أنوثة وشبابا، وكانت تتمتع بهدوء الطبع، ومهارة في الأعمال المنزلية التي انغمست فيها مبكرا عن قريناتها، وكانت محتشمة في لبسها، تكاد لا تسمع لها صوتا من حيائها وفرط أدبها.

كانت نجوى زوجة مثالية يطمح إليها كل شاب طيب يريد حياة زوجية مستقرة وزوجة تربت على الطاعة الجميلة والبراعة في إدارة شئون المنزل مما تفتقده أغلب البنات الجامعيات اللائي لا يجدن عمل كوب الشاي لفرط انشغالهن بالدراسة والحياة الجامعية الصاخبة.

وفعلا تقدم ابن الحلال لخطبة نجوى، وكما يقال «الطيبون للطيبات» .. فقد كان العريس شابا دمث الخلق، هادئ الطباع، مرن في أمور الزواج، يجيد حرفة نافعة، ويأكل من كد يده وبعرق جبينه، ويعرف الحياة بصورتها العملية لا بصورتها الخيالية أو النظرية كسائر أقرانه ممن دخلوا الجامعات وحصلوا على شهادات وانضموا بعدها إلى طابور العاطلين .. كان رجلا بمعنى الكلمة، حنكته التجارب والمواقف، وأصقلته الأيام فصار عمليا إيجابيا لا يأبه لكثير من المظاهر الجوفاء.

تزوجت نجوى زيجة هادئة، ورأت أمها في عينيها السعادة التي تنشدها كل أم لابنتها، وسرعان ما كللت نجوى فرحة الأم الحنون وأنجبت أول حفيد في الأسرة.

وكعادة الأيام في سرعتها ما لبثت أن وصلت أخت نجوى الثانية إلى نهاية المطاف الجامعي، وحصلت على شهادة من كلية التربية، وصارت معلمة تتمتع بمهارة في التدريس، وبراعة في الجمال، إلا أن الأقدار حالت بينها وبين زيجة هانئة!!.

فالأستاذة الشابة الجميلة تطلب مواصفات في العريس من نوع خاص يتلائم مع مستواها التعليمي.. لابد بالطبع أن يكون العريس من حملة الشهادات الجامعية، وصاحب عمل مرموق يسمح له بإعالة أسرة ناشئة، فضلا عن شقة، وتكاليف الجهاز والفرح بمستوى يليق بأمثالها.. كل هذه المواصفات في مجتمعاتنا العربية التي تعاني من تكدس الشهادات، وارتفاع نسبة البطالة بين الشباب الجامعي بالأخص، وغلاء

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أسعار العقارات غلاء فاحشا لا يطيقه الكهل الذي احترف الكسب وعرف سبل الادخار فما بالنا بمن هو في مقتبل الحياة.

عادت أم نجوى لأحزانها ودموعها ..ليست هذه المرة بسبب نجوى الهادئة الوديعة التي ما أحست بتربيتها من فرط سلاستها وانسيابيتها، ولكن كانت الدموع على الابنة الثانية الجامعية الجميلة التي تقدم بها السن وصارت على مشارف العنوسة!!

بالطبع أنا لا أسوق هذه الحادثة لتمجيد الأمية والحط من شأن العلم، ولكن أسوقها لكي نتلمس أسرار الأقدار العجيبة، تلك الأقدار التي قد تخفي في طيات نقمتها العاجلة نعمة آجلة، وتدخر للراضين الشاكرين الصابرين من كنوز الأجر ما لا تتوقعه نفس.

تلك الأقدار التي رفعت من شأن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى وبلال العبد الحبشي الأسود وعبد الله بن مسعود الراعي الضعيف –رضي الله عنهم أجمعين– وفي نفس الوقت حطت من قدر عبد الله بن أبي ابن سلول سيد يثرب ومليكها المتوج.

بل تلك الأقدار التي رفعت من شأن العرب الأمة الأمية البدوية ووضعت من شأن الفرس والروم أمم التحضر والتمدن والعزة والمنعة.

وصدق الله العظيم القائل في محكم آياته: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١٦]

قال المفسرون: «عسى» الأولى للإشفاق لا للترجي، ومجيئها للإشفاق قليل، و«عسى» الثانية للترجي، ومجيئها له هو الكثير في لسان العرب.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ} ما يعلمه الله تعالى، لأن عواقب الأمور مغيبة عن عملكم، وفي هذا الكلام تنبيه على الرضا بما جرت به المقادير، قال الحسن: «لا تكرهوا الملمات الواقعة، فلرب أمر تكرهه فيه أربك، ولرب أمر تحبه فيه عطبك».

وقال أبو سعيد الضرير:

رب أمر تتقيه .. جر أمراً ترتضيه

خفى المحبوب من .. هو بدا المكروه فيه

وقال الوضاحي:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ربما خير الفتى .. وهو للخير كاره

وقال ابن السرحان:

كم فرحة مطوية لك بين أثناء المصائب

ومسرة قد أقبلت من حيث تنتظر النوائب

وعن عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه قال: بعث المتوكل إلى محمد بن الليث رسولاً وقد كان بقي مدة في منزله فلمّا أتاه الرسول (امتثل) فركب بلا روح خوفاً، فمرّ به رجل وهو يقول:

كم مرّة حفّت بك المكاره ..خارَ لك الله وأنت كاره

فلمّا دخل على المتوكل ولاّه مصر وأمر له بمائة ألف وجميع ما يحتاج إليه من الآلات والدواب والغلمان. [البحر المحيط:٢/٩٨ بتصرف، والكشف والبيان:٢/١٣٨]

وفي أضواء البيان[١/٩١]: قوله تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}، لم يصف هذا الخير هنا بالكثرة وقد وصفه بها في قوله: {فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً} [١٩/٤].

وكذلك جميع المنهيات؛ فإن النفس تحبها بالطبع، وتَشْرَهُ إليها، وهي تُفضي بها إلى ذلها وهوانها، وعبَّر الحقّ سبحانه بعسى؛ لأن النفس إذا ارتاضت انعكس الأمر عليها، فيخف عليها أمر الطاعة، ويصعب عليها أمر المخالفة، {والله يعلم} ما فيه مصلحتكم، {وأنتم لا تعلمون}؛ لجهلكم بعواقب أموركم.[البحر المديد:١/٢٧١]

وهذا الكلام تلطف من الله تعالى لرسوله والمؤمنين، وإن كان سبحانه غنياً عن البيان والتعليل، لأنه يأمر فيُطاع، ولكن في بيان الحكمة تخفيفاً من مشقة التكليف، وفيه تعويد المسلمين بتلقي الشريعة معللة مذللة فأشار إلى أن حكمة التكليف تعتمد المصالح ودرء المفاسد، ولا تعتمد ملائمة الطبع ومنافرته، إذ يكره الطبع شيئاً وفيه نفعه وقد يحب شيئاً وفيه هلاكه، وذلك باعتبار العواقب والغايات، فإن الشيء قد يكون لذيذاً ملائماً ولكن ارتكابه يفضي إلى الهلاك، وقد يكون كريهاً منافراً وفي ارتكابه صلاح. وشأن جمهور الناس الغفلة عن العاقبة والغاية أو جهلهما، فكانت

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الشرائع وحملتها من العلماء والحكماء تحرض الناس على الأفعال والتروك باعتبار الغايات والعواقب.

فإن قلت: ما الحكمة في جعل أشياء كثيرةٍ نافعةٍ مكروهةً، وأشياء كثيرةٍ ضارةٍ محبوبةً، وهلا جعل الله تعالى النَّافعَ كلَّه محبوباً والضار كلَّه مكروهاً فتنساقَ النفوسُ للنافع باختيارها وتجتنب الضار كذلك فنُكفى كلفة مسألة الصلاح والأصلح التي تناظر فيها الأشعري مع شيخه الجبائي وفارق الأشعري من أجلها نحلة الاعتزال؟.

قلت: إن حكمة الله تعالى بنت نظام العالم على وجود النافع والضار والطيب والخبيث من الذوات والصفات والأحداث، وأوكل للإنسان سلطة هذا العالم بحكم خِلْقِه الإنسانَ صالحاً للأمرين وأَراه طريقي الخير والشر كما قدمناه عند قوله تعالى: {كان الناس أمة واحدة}[البقرة:٢١٣]، وقد اقتضت الحكمة أن يكون النافع أكثر من الضار، ولعل وجود الأشياء الضارة كَوَّنه الله لتكون آلة لحمل ناس على اتباع النافع، كما قال تعالى: {فيه بأس شديد ومنافع للناس} [الحديد:٢٥]، وقد أقام نظام هذا العالم على وجود المتضادات، وجعل الكمال الإنساني حاصلاً عند حصول جميع الصفات النافعة فيه، بحيث إذا اختلت بعض الصفات النافعة منه انتقصت بقيةُ الصفات النافعة منه أو اضمحلت، وجعل الله الكمال أقل من النقص لتظهر مراتِبُ النفوس في هذا العالم ومبالغ العقول البشرية فيه، فاكتسب الناس وضيعوا وضروا ونفعوا فكثر الضار وقل النافع بما كسَب الناسُ وفعلوا قال تعالى: {قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث}.

وكما صارت الذوات الكاملة الفاضلة أقل من ضدها، صارت صفات الكمال عزيزة المنال، وأُحيطت عزتها ونفاستها بصعوبة منالها على البشر وبما يحف بها من الخطر والمتاعب، لأنها لو كانت مما تنساق لها النفوس بسهولة لاستوى فيها الناس فلم تظهر مراتِبُ الكمال ولم يقع التنافس بين الناس في تحصيل الفضائل واقتحام المصاعب لتحصيلها قال أبو الطيب:

ولا فضل فيها للشجاعة والندى.. وصبرِ الفتى لولا لقاء شَعُوب

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فهذا سبب صعوبة الكمالات على النفوس... {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ}أي والله يعلم الخير والشر وأنتم لا تعلمونهما، لأن الله يعلم الأشياء على ما هي عليه والناس يشتبه عليهم العلم فيظنون الملائم نافعاً والمنافر ضاراً.

والمقصود من هذا تعليم المسلمين تلقي أمر الله تعالى باعتقاد أنه الصلاح والخير، وأن ما لم تتبين لنا صفته من الأفعال المكلف بها نوقن بأن فيه صفة مناسبة لحكم الشرع فيه فتطلبها بقدر الإمكان عسى أن ندركها، لنفرع عليها ونقيس ويدخل تحت هذا مسائل مسالك العلة، لأن الله تعالى لا يجري أمره ونهيه إلا على وفق علمه. [التحرير والتنوير:٢/٣٢٣ بتصرف]

وهناك قصة من التراث الإنساني تحكي قضية رجل من الصين، وكان الرجل يملك مكانا متسعا وفيه خيل كثيرة، وكان من ضمن الخيل حصان يحبه . وحدث أن هام ذلك الحصان في المراعي ولم يعد، فحزن عليه، فجاء الناس ليعزوه في فقده الحصان، فابتسم وقال لهم: ومن أدراكم أن ذلك شر لتعزوني فيه؟

وبعد مدة فوجئ الرجل بالجواد ومعه قطيع من الجياد يجره خلفه، فلما رأى الناس ذلك جاءوا ليهنئوه، فقال لهم: وما أدراكم أن ذلك خير، فسكت الناس عن التهنئة. وبعد ذلك جاء ابنه ليركب الجواد فانطلق به، وسقط الولد من فوق الحصان فانكسرت ساقه، فجاء الناس مرة أخرى ليواسوا الرجل فقال لهم: ومن أدراكم أن ذلك شر؟

وبعد ذلك قامت حرب فجمعت الحكومة كل شباب البلدة ليقاتلوا العدو، وتركوا هذا الابن؛ لأن ساقه مكسورة، فجاءوا يهنئونه، فقال لهم: ومن أدراكم أن ذلك خير؟ فعلينا ألا نأخذ كل قضية بظاهرها، إن كانت خيراً أو شراً، لكن علينا أن نأخذ كل قضية من قضايا الحياة في ضوء قول الحق: {لِّكَيْلاَ تَأْسَوْاْ على مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَآ آتَاكُمْ} [الحديد: ٢٣]

والحق هو القائل: {والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}. ولله المثل الأعلى، سبق لنا أن ضربنا المثل من قبل بالرجل الحنون الذي يحب ولده الوحيد ويرجو بقاءه في الدنيا،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لذلك عندما يمرض الابن فالأب يعطيه الدواء المر، وساعة يعطيه الجرعة فالابن يكره الدواء ولكنه خير له [تفسير الشعراوي: ١/٥٧٤]

إن من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق؛ ولكن وراءه حكمة تهون مشقته، وتسيغ مرارته، وتحقق به خيراً مخبوءاً قد لا يراه النظر الإنساني القصير .. عندئذ يفتح للنفس البشرية نافذة جديدة تطل منها على الأمر؛ ويكشف لها عن زاوية أخرى غير التي تراه منها. نافذة تهب منها ريح رخية عندما تحيط الكروب بالنفس وتشق عليها الأمور .. إنه من يدري فلعل وراء المكروه خيراً. ووراء المحبوب شراً. إن العليم بالغايات البعيدة، المطلع على العواقب المستورة، هو الذي يعلم وحده. حيث لا يعلم الناس شيئاً من الحقيقة.

وعندما تنسم تلك النسمة الرخية على النفس البشرية تهون المشقة، وتتفتح منافذ الرجاء، ويستروح القلب في الهاجرة، ويجنح إلى الطاعة والأداء في يقين وفي رضاء .

هكذا يواجه الإسلام الفطرة، لا منكراً عليها ما يطوف من المشاعر الطبيعية، ولا مريداً لها على الأمر الصعب بمجرد التكليف. ولكن مربياً لها على الطاعة، ومفسحاً لها في الرجاء. لتبذل الذي هو أدنى في سبيل الذي هو خير؛ ولترتفع على ذاتها متطوعة لا مجبرة، ولتحس بالعطف الإلهي الذي يعرف مواضع ضعفها، ويعترف بمشقة ما كتب عليها، ويعذرها ويقدرها؛ ويحدو لها بالتسامي والتطلع والرجاء.

وهكذا يربي الإسلام الفطرة، فلا تمل التكليف، ولا تجزع عند الصدمة الأولى، ولا تخور عند المشقة البادية، ولا تخجل وتتهاوى عند انكشاف ضعفها أمام الشدة. ولكن تثبت وهي تعلم أن الله يعذرها ويمدها بعونه ويقويها. وتصمم على المضي في وجه المحنة، فقد يكمن فيها الخير بعد الضر، واليسر بعد العسر، والراحة الكبرى بعد الضنى والعناء. ولا تتهالك على ما تحب وتلتذ. فقد تكون الحسرة كامنة وراء المتعة! وقد يكون المكروه مختبئاً خلف المحبوب. وقد يكون الهلاك متربصاً وراء المطمع البراق.

إنه منهج في التربية عجيب. منهج عميق بسيط. منهج يعرف طريقه إلى مسارب النفس الإنسانية وحناياها ودروبها الكثيرة. بالحق وبالصدق. لا بالإيحاء الكاذب،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والتمويه الخادع .. فهو حق أن تكره النفس الإنسانية القاصرة الضعيفة أمراً ويكون فيه الخير كل الخير. وهو حق كذلك أن تحب النفس أمراً وتتهالك عليه. وفيه الشر كل الشر. وهو الحق كل الحق أن الله يعلم والناس لا يعلمون! وماذا يعلم الناس من أمر العواقب؟ وماذا يعلم الناس مما وراء الستر المسدل؟ وماذا يعلم الناس من الحقائق التي لا تخضع للهوى والجهل والقصور؟!

إن هذه اللمسة الربانية للقلب البشري لتفتح أمامه عالماً آخر غير العالم المحدود الذي تبصره عيناه. وتبرز أمامه عوامل أخرى تعمل في صميم الكون، وتقلب الأمور، وترتب العواقب على غير ما كان يظنه ويتمناه. وإنها لتتركه حين يستجيب لها طيعاً في يد القدر، يعمل ويرجو ويطمع ويخاف، ولكن يرد الأمر كله لليد الحكيمة والعلم الشامل، وهو راض قرير .. إنه الدخول في السلم من بابه الواسع .. فما تستشعر النفس حقيقة السلام إلا حين تستيقن أن الخيرة فيما اختاره الله .. وأن الخير في طاعة الله، دون محاولة منها أن تجرب ربها وأن تطلب منه البرهان! إن الإذعان الواثق والرجاء الهادئ والسعي المطمئن .. هي أبواب السلم الذي يدعو الله عباده الذين آمنوا ليدخلوا فيه كافة .. وهو يقودهم إليه بهذا المنهج العجيب العميق البسيط. في يسر وفي هوادة وفي رخاء. يقودهم بهذا المنهج إلى السلم حتى وهو يكلفهم فريضة القتال. فالسلم الحقيقي هو سلم الروح والضمير حتى في ساحة القتال.

وإن هذا الإيحاء الذي يحمله ذلك النص القرآني، لا يقف عند حد القتال، فالقتال ليس إلا مثلاً لما تكرهه النفس، ويكون من ورائه الخير .. إن هذا الإيحاء ينطلق في حياة المؤمن كلها. ويلقي ظلاله على أحداث الحياة جميعها .. إن الإنسان لا يدري أين يكون الخير وأين يكون الشر .. لقد كان المؤمنون الذين خرجوا يوم بدر يطلبون عير قريش وتجارتها، ويرجون أن تكون الفئة التي وعدهم الله إياها هي فئة العير والتجارة. لا فئة الحامية المقاتلة من قريش . ولكن الله جعل القافلة تفلت، ولقاهم المقاتلة من قريش! وكان النصر الذي دوّى في الجزيرة العربية ورفع راية الإسلام. فأين

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تكون القافلة من هذا الخير الضخم الذي أراده الله للمسلمين! وأين يكون اختيار المسلمين لأنفسهم من اختيار الله لهم؟ والله يعلم والناس لا يعلمون!

ولقد نسي فتى موسى ما كانا قد أعداه لطعامهما – وهو الحوت – فتسرب في البحر عند الصخرة. {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦)} وكان هذا هو الذي خرج له موسى. ولو لم يقع حادث الحوت ما ارتدا. ولفاتهما ما خرجا لأجله في الرحلة كلها!

وكل إنسان – في تجاربه الخاصة – يستطيع حين يتأمل أن يجد في حياته مكروهات كثيرة كان من ورائها الخير العميم. ولذات كثيرة كان من ورائها الشر العظيم. وكم من مطلوب كاد الإنسان يذهب نفسه حسرات على فوته؛ ثم تبين له بعد فترة أنه كان إنقاذاً من الله أن فوت عليه هذا المطلوب في حينه. وكم من محنة تجرعها الإنسان لاهثاً يكاد يتقطع لفظاعتها. ثم ينظر بعد فترة فإذا هي تنشئ له في حياته من الخير ما لم ينشئه الرخاء الطويل.

إن الإنسان لا يعلم. والله وحده يعلم. فماذا على الإنسان لو يستسلم؟

إن هذا هو المنهج التربوي الذي يأخذ القرآن به النفس البشرية. لتؤمن وتسلم وتستسلم في أمر الغيب المخبوء ، بعد أن تعمل ما تستطيع في محيط السعي المكشوف. [في ظلال القرآن: ١/٢٠٣-٢٠٤]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أسير الدنيا وأسير الآخرة

من أهم ما يميز مشاكل الدنيا ويطمئن الإنسان تجاهها هو قابليتها للحل أو على الأقل التأقلم معها والتعايش مع رواسبها حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

فتصور لو أنك اشتريت منزلا جديدا وبعد فرش متاعك فيه وجدته ضيق أو سيء المرافق أو رديء المناخ فالحل ببساطة أن تبيعه وتستبدله بمنزل آخر يفي بالغرض المطلوب منه فإن تعثرت ماديا انتظرت حتى تتحسن الأحوال أو ربما اقترضت قرضا حسنا من أحد المقربين وسددت المبلغ أقساط على مهل.

وتصور لو دخلت أحد غرف منزلك فوجدتها مشتعلة نارا فلا يسعك إلا أن تقوم بإطفائها فإن استحكمت النار وتعذر عليك إخمادها استعنت بالجيران، بل وربما استدعيت لها أجهزة الإطفاء الحكومية فهم أقدر شأنا في هذا المجال وأوسع خبرة، ثم ماذا لو أكلت النيران بعض المتاع فبالصبر ينصلح كل شيء والأسواق مكتظة بالجديد والحديث واليسير الذي في متناول الجميع.

وتصور لو رسبت يوما في امتحان علمي فسرعان ما تتدارك المشكلة وتلتمس معلما حاذقا، ومع معاودة الجد وتنظيم الوقت وحسن الاستعانة بالله يزول كل صعب، ومن جد وجد ومن زرع حصد.

تلك الخاصية والميزة في طبيعة مشاكل الدنيا لا نجدها مطلقا في مشاكل الآخرة التي يستحيل حلها والفكاك من عنائها.

فتصور أنك بعدما أدخلت القبر وجدته ضيقا عليك من سوء العمل وتراكم الذنب بعد الذنب، فماذا سيكون الحل وقد فقدت الحول والقوة، وفقدت الدينار والدرهم، وفقدت المعين والمشير، بل وأيقنت أن هذا المأزق لا يحل أبدا ولا فكاك منه حتى لو ملكت حولك وقوتك، ودينارك ودرهمك، والمعين والمشير.

وتصور أنك دخلت القبر فوجدته قد أوقد عليك نارا وفتح لك بابا إلى النار وأغلق باب الجنة وصرخت قائلا: «رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة»، والنار

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عظيمة والحسرة مريرة لعلمك أنها ليست من نار الدنيا التي تطفئ بالماء وأنا لك بالماء، وحتى لو أعطيته فلن يدفع عنك حرها وسمومها.

وتصور لو دخلت القبر وتعلثم لسانك في أهم اختبار في حياة العبد كلها، فلم تدر بما تجيب منكرا ونكيرا عن من ربك ومن نبيك وما دينك.

وتصور عطشك الشديد يوم الموقف، حيث الشمس فوق الرؤوس بقدر ميل، والعرق يلجم الناس إلجاما، والزحام شديد ثم لاح لك في الأفق البعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسقي الناس من حوض الكوثر ماءا عذبا زلالا من شرب منه لا يظمأ بعده أبدا، فتذهب مسرعا وتهتف برسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «يا نبي الله اسقني فإني فلانا من أمتك»، فينظر إليك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– متفرسا ومحاولا أن يستبين صدق ما تقول، وهل أنت من أمته أم لا؟ ويحاول الرسول صلى الله عليه وسلم جاهدا أن يرى أي علامة فيك تدل على أنك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن عبثا لا يجد، فلا غرة ولا تحجيل من أثر الوضوء، {فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى} [القيامة: ٣١]، وينادي مناد من السماء: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» فيقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: «سحقا سحقا»، ويؤخذ بك بعيدا ذات الشمال.

هذا الفرق الجوهري بين مشاكل الدنيا ومشاكل الآخرة كان واضحا في حياة السلف الصالح كلهم أجمعين، وهو الذي أيقظ العارفين، وأفزع المخبتين، واستثار همة العاملين.

فعن أبى بكر بن عياش قال: قال لي رجل مرة وأنا شاب خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبداً، قال أبو بكر: فما نسيتها أبداً. وكان يقوم الليل في قباء صوف وسراويل وعكازه يضعها في صدره فيتكئ عليها حين كبر، فيحيى ليلته ويذكره حمل العصي بالسفر إلى الآخرة.

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها على ولا أنى نحلت من الكبر
ولكني ألزمت نفسي حملها لأعلمها أن المقيم على سفر

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ورأي الحسن البصري شيخا في جنازة، فلما فرغ من الدفن قال له الحسن: يا شيخ أسألك بربك أتظن أن هذا الميت يود أن يرجع إلى الدنيا فيزيد من عمله الصالح ليستغفر الله من ذنوبه السالفة؟ قال الشيخ: اللهم نعم. فقال الحسن: فما بالنا لم نحصل درجة ميت؟ ثم انصرف وهو يقول: أي موعظة وما أنفعها لو كان بالقلب حياة.

وذو النورين عثمان الرحيم العادل رضي الله عنه، يغضب على خادم له يوما فيعرك أذنه حتى يوجعه ثم سرعان ما يدعو خادمه ويأمره أن يقتص منه فيعرك أذنه ويأبى الخادم ويأمره في حزم فيطيع ويقول له: «اشدد يا غلام فإن قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة».

وقال سعيد بن عطية: لما حضر أبا عطية الموت جزع منه. فقالوا: أتجزع من الموت؟! قال: مالي لا أجزع وإنما هي ساعة ثم لا أدري أين يذهب بي؟

إخواني .....

السنين مراحل، والشهور فراسخ، والأيام أميال، والأنفاس خطوات، والطاعات رؤوس أموال، والمعاصي قطاع طرق، والربح الجنة، والخسران النار.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

البذور لا تنبت في الهواء

وقف أمام مكتبة المسجد يتأمل كتاب «المحلى» لابن حزم، وأثناء خروجي استوقفني متسائلا: ما رأيك في كتاب المحلى لابن حزم ؟ فأجبته: ماذا ستفعل به ؟ قال: سوف أبدأ به دراسة الفقه، قلت له: هذا هو عين العبث فالبذور لا تنبت في الهواء.

تعجب صاحبي من مقولتي، وفي دهشة قال مستنكرا: عبث أن أقرأ لعلامة كابن حزم، ولسان حاله يكمل كلمات عجز عنها لسانه .. ومن أنت حتى تخوض في ابن حزم؟

أجبته في ثبات: ليس العبث أن تقرأ لابن حزم، ولكن العبث أن تبدأ دراسة الفقه بالمحلى لابن حزم، أتدرى أن ابن حزم كان في منهجه الفقهي ظاهريا خالف بأصول مذهبه كثيرا مما عليه جمهور الفقهاء المعتبرين، ورغم هذا كان له من الاستنباطات الفقهية الرائعة ما فاق به أقرانه من الفقهاء، فهل يمكن لمن في بداية الطلب أن يميز الغث من السمين!

بدت على صاحبي أمارات الاقتناع فاستكملت حديثي معه بانشراح صدر، فلقد كان جاري ولم أره منذ أيام وما لفت انتباهي أنه أطلق لحيته حديثا فابتدرته قائلا:

مشكلتنا الحقيقية تكمن في غياب المنهجية عند تناول الأمور، فالتخطيط السليم هو أول وأهم خطوة في طريق الوصول عند كافة العقلاء والفطناء على مر الزمان، والاستسلام لثورة العاطفة والاعتماد عليها وحدها لا يكفي لأنها ما تلبث أن تخفت حدتها وطريق العلم طويل يحتاج لمزيج من العاطفة والهمة العالية والإخلاص وفي ذلك يقول المعصوم –صلى الله عليه وسلم–: (إن لكل شيء شرة ولكل شرة فترة، فإن صاحبها سدد وقارب فارجوه وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه) [رواه الترمذي]، أي أن من اقتصد في الأمور سلك الطريق المستقيم واجتنب جانبي الإفراط (الشرة) والتفريط (الفترة) فارجوه: يعني ارجوا الصلاح والخير منه فإنه يمكنه الدوام على الوسط، وأحب الأعمال إلى اللّه أدومها وإن قل، أما من أفرط فاجتهد وبالغ في العمل

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ليصير مشهوراً بالعبادة والزهد (فلا تعدوه) أي: لا تعتدوا به ولا تحسبوه من الصالحين لأن عزيمته يوشك أن تضعف وتنقطع وفق مقتضى بشريته وربما ترك الأمر بالكلية.

والعاطفة دائما لا تؤمن بالتدرج الذي هو سنة كونية فطرية، فتؤثر الصعب على السهل طنا منها أنها ستلتهمه ولكن هيهات هيهات، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، قال ابن الجوزي: بدأ الشرائع كان علي التخفيف ولا يعرف في شرع نوح وصالح وإبراهيم عليهم السلام تثقيل ثم جاء موسى عليه السلام بالتشديد والأثقال وجاء عيسى عليه السلام بنحوه وجاءت شريعة نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– بنسخ تشديد أهل الكتاب ولا تنطق بتسهيل من كان قبلهم فهي على غاية الاعتدال.

والأمثلة على غياب المنهجية في حياتنا كثيرة ومتنوعة خاصة بين الشباب، وما أكثر ما رأينا من يبدأ رحلته مع القرآن بدراسة القراءات وهو يجهل آداب تلاوته وغريب ألفاظه، أو من يولع بعلم الحديث تصحيحا وتضعيفا ولم يقرأ صحيح البخاري ومسلم، أو من يحفظ الفتاوى المعاصرة التي تمس رجل الشارع وترتبط بالأحداث الجارية ويجهل أبسط أحكام الفقه من أمور الطهارة والصلاة ومصارف الزكاة... وغيرها.

إن المشكلة في أن لا تتعلم، ولكن المشكلة كيف تتعلم، فالعلم يحتاج إلى مهارة كمهارة الصانع في صنعته والتاجر في تجارته، ولا تُكتسب المهارة إلا بالتدريب وترتيب الخطوات، فالسلم لا يُصعد قفزا وإنما درجة درجه، وأولى خطوات تنمية المهارة التعليمية أن يبدأ الطالب بقراءة ما يحبه من صنوف العلم النافع لتكون رغبته في العلم مع حبه لما يتعلمه دافعا قويا على الصبر على المطالعة والبحث، حتى إذا استوثق من جلد عزيمته واكتسب الصبر اللازم لكل طالب علم، بدأ بالأهم فالأهم من أمور العقيدة الصحيحة وما يضادها والتفسير والحديث والفقه.

وليس العجز أن نبدأ في دراسة الدين بكتاب سهل ميسور كتفسير ابن كثير أو نيل الأوطار أو رياض الصالحين بحجة أنها كتب صغار السن من الشباب ولكن العجز الحقيقي أن نقحم أنفسنا في خضم بحر ونحن لم نحسن السباحة بعد.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كفانا اندفاعا وعاطفية وحسبنا منهجية على نور النبوة الراشدة، فمن يطلب كل شيء يوشك أن يفقد كل شيء ومن أراد قطع الطريق بخطوة واحدة إنما يريد محالا، فلكل درب مسلكه ولكل بيت مدخله ولكل زرع تربته والبذور لا تنبت أبدا في الهواء.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

العم قاسم وتدبير الأقدار

العم «قاسم» رجل ستيني، يحترف منذ زمن مهنة تسليك خطوط المجاري التي قد تنسد بفعل تراكم الرواسب فيها، وهي مشكلة ليست بالهينة، حيث تطفح بالوعات المجاري وتغرق الشوارع وربما تدخل المياه القذرة إلى البيوت خاصة المنخفضة منها، فضلا عن إعاقة مرور الناس والسيارات والروائح الكريهة التي تزكم الأنوف .. عندئذ يتحرك الجميع في الاستغاثة بالعم قاسم الذي معه الحل.

والعم قاسم رجل في غاية النشاط، دءوب الحركة، يلبي طلبات زبائنه طيلة اليوم وربما بالليل أيضا، واستطاع من هذه المهنة أن يكون ثروة لا بأس بها، فهو يمتلك بيتين في مدينته الكبيرة الصاخبة التي تمثل قضية السكن فيها معضلة مزمنة، كما أن رجاحة عقله عصمته من أن يسرف في معيشته، وأن يحسب حساب تغير الأحوال وتنكر الأيام، والأروع في حياة هذا الجندي المجهول أنه حرص كل الحرص على الاهتمام بتعليم أولاده، فشبوا جميعهم في رحاب نور العلم وحصلوا على شهادات جامعية مرموقة.

تخرجت ابنه الحاج قاسم الوحيدة من كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، ومرت بعد التخرج الأيام والأشهر والسنوات ولم يتقدم أحد لخطبتها، رغم يسر أحوالهم، وظفرها بنصيب لا بأس به من الجمال وحسن الهيئة، لكن المشكلة –أو إن شئت قلت المعضلة– في تأخر زواجها هو العم قاسم نفسه!!، فثقافة مجتمعاتنا تنفر من هذه المهن البسيطة، بل تراها مهن وضيعة، تهدم المكانة الاجتماعية، خاصة وأن عروستنا الجامعية لا يليق بها إلا جامعي مثلها بطبيعة تكافؤ الحال، فصارت أيضا الشهادة الجامعة لعروستنا أزمة تضاف إلى أزمة مهنة العم قاسم.

إن الكل لا يستغني عن العم قاسم، ويحتاج إليه، بل الجميع يحتفظون برقم هاتفه الجوال للضرورة، لكن أن يتزوج ابنته أحد فكلا وألف كلا.

لا أحب أن أسرد الكلمات في الدور العظيم لمهنة العم قاسم، لأن ذلك واضح وضوح الشمس، فالمجتمعات منظومة متكاملة لا يستغني بعضها عن بعض، لكن

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الواقع أن غالبية النفوس لا تتقبل مصاهرة هذا الرجل، بل إنني سألت نفسي وبصدق: هل ممكن أن أزوج ابني من بنت العم قاسم؟، فكان الرد بالرفض، ولذلك لا داعي للضغط بالكلام والطنطنة حول مهنة العم قاسم الشريفة والنبيلة، ونفعه المشكور عليه من الله تعالى ثم من الناس أيضا، فكل هذا لن يلغي الرغبة في الهيئة الاجتماعية التي يحرص عليها الجميع.

خافت زوجة الحاج قاسم من أن تضرب ابنتها العنوسة، فما كان منها إلا أن ذهبت لابن عمها صاحب المؤهل المتوسط، وعرضت عليه الزواج من ابنتها فوافق عن طيب خاطر، رغم أن العريس حاله كسائر أحوال جلة شبابنا، فلا عمل منتظم، وامتلاك شقة حلم بعيد المنال أمام أسعار العقارات الفلكية، هذا فضلا عن تكاليف الزواج التي لا تخفى على أحد.

لكن أسرة العم قاسم كانت متفهمة الوضع جيدا، فأعطوه شقة، ويسروا عليه جدا في متطلبات الزواج، بل غضوا الطرف عن مؤهله المتوسط، وتم الزواج وسارت حياة الزوجين على خير حال، وأنجبت العروس طفلة جميلة، والتزم العريس بعمله غاية الالتزام، وتحمل المسئولية الزوجية بكل رجولة.

هنا يمكن أن نتلمس تدبير الخالق تبارك وتعالى، وما يدرينا لعل هذه الأمور سارت على هذا المنوال لمساعدة هذا الزوج الشاب الذي كان من المحال أن يظفر بهذه الحياة الأسرية السعيدة لولا مهنة العم قاسم الوضيعة، قال تعالى: {اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ}[الرعد:٢]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المعادلة الصعبة

كان الزحام أمام المحل شديدا، والكل يسب ويسخط، مما أثار المشهد فضولي .. فسألت أحدهم .. ماذا يحدث؟ .. أخبرني أن رجال الصحة يفتشون محل جاره، وهو أشبه بمصنع صغير لإنتاج الكنافة والقطايف، ثم توالت من محدثي الدعوات على رجال التفتيش على كافة أنواعهم، الذين لا يتركون الناس تأكل رزقها في يسر وسهولة .. وتابع دعواته قائلا: إنهم يا حضرة الأستاذ كالجراد المنشر، هذا للصحة والرقابة الغذائية، وهذا للتأمينات، وهذا لمكتب العمل، وهذا للأمن الصناعي وسلامة وسائل الإطفاء، وهذا للتراخيص وهذا .. وهذا ..

تعجبت من كلام محدثي أشد العجب!!، فكيف لرجال يحافظون على سلامتنا وسلامة أولادنا، ويضمنون مصالح عمالنا، ويأخذون على يد كل من تسوله نفسه ويوعز له ضمير بأن يتلاعب بصحتنا أو حقوقنا؟! .. كيف لهؤلاء أن ينالوا كل هذا الرفض والسخط الشعبي وبالإجماع؟!، ويراهم الجميع كأنهم جلادون سلطوا على رقاب الناس؟!، لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة. حتى استحقوا عن جدارة لقب «أعداء الشعب»

هل هذه الكراهية لكل مسئول شيء موروث في ثقافتنا؟ أم أننا تعودنا على التململ من الانضباط؟ أم أن العشوائية هي السحابة السائدة من قديم الزمان، والخروج عن المألوف صعب على النفس حتى ولو تحت دعوى التطوير والأخذ بأساليب الحياة الحديثة التي تعمل لخدمتنا؟

في الواقع أن كل هذه الأمور على تنوعها ووجاهتها غير مطروحة في الأذهان على الإطلاق، وأن للموضوع زاوية أخرى تماما ..

فالمواطن المسكين – يا سادة– في مجتمعاتنا هو الذي تقوم على عاتقه أركان الدولة، وهو الذي يشكل الأعمدة الرئيسية التي تحمل دستورها ووزاراتها وبرلمانها بل وكل كيانها .. هو الوحيد الذي يطبق عليه القانون بحذافيره، بل قل بمره دون حلوه، وهو الذي من أجله أنشئوا أقسام الشرطة والجمعيات التعاونية، ورجال الرقابة والتفتيش على كافة أنواعهم وأشكالهم، وهو الذي يتملقه رجال البرلمان أيام

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الانتخابات ببعض الفتات وبعد نجاحهم يغيبون عن حياته ومصالحه والنظر في معاناته. وهو . وهو . وهو

لكن ..

هل القانون يشمل الكبار ويطبق عليهم أو على أبنائهم أو ممتلكاتهم أو كل من أو ما ينتمي إليهم؟ أم أن هذا خط أحمر لا يتجاوزه إلا مجنون أو مخبول؟

هل الصفوة يلجئون إلى أقسام الشرطة لحل مشاكلهم؟ والدخول في سلك القضاء والقضايا ليدوروا في حلقة مفرغة أعوام وأعوام من أجل الحصول على حكم قضائي في الغالب لا ينفذ، أو يتم التهرب منه بالعديد من الثغرات القانونية وما أكثرها في قوانيننا.

هل يجرؤ أحد رجال التفتيش أن يتفقد مصنع أو متجر أحد الباشاوات؟ وحتى لو تم فسيكون الأمر بصورة شكلية بحتة، فمن هذا الذي يتجاسر على توجيه النقد لمن يقدر على نقله لغياهب البراري والقفار بمكالمة تليفونية؟.

هل ابن الباشا أو بنته أو زوجته تقف في طابور الجمعية الاستهلاكية لتأخذ فرصتها في الحصول على مواد تموينية مدعمة، أو استخراج رخصة قيادة سيارة؟

إذن هذا السخط الشعبي لكل مظاهر الانضباط له ما يبرره، فليس هو كرهنا للنظام أو حبنا للعشوائية، وإنما هو نتيجة الإحساس بمرارة الظلم وقسوة المحاباة .. الإحساس بأننا مواطنون من الدرجة الخامسة في آخر السلم الاجتماعي، يحصلون على حقوقهم – هذا إن حصلوا عليها– بشق الأنفس، والالتزام باللوائح سيف مسلط على رقابهم دون غيرهم، وعقوبات القانون لهم وحدهم.

وهذه هي المعادلة الصعبة التي استطاعت الدول المحترمة حلها .. معادلة السواسية والشفافية، ونبذ احتكار طبقة معينة لكل المميزات والتسهيلات. وهذا هو سر التقدم وجوهر الرقي في كل عصر ومصر.

معادلة قدمها الإسلام من أكثر من ألف وأربعمائة عام عندما قال الله تعالى: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً }[النساء:١٢٣] قال المفسرون: رُوِي أن المسلمين وأهل الكتاب

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تفاخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نحن أولى منكم، نبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة.

قال صاحب أضواء البيان:لم يبين هنا شيئا من أمانيهم، ولا من أماني أهل الكتاب، ولكنه أشار إلى بعض ذلك في مواضع أخر كقوله في أماني العرب الكاذبة: {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} [٣٤/٣٥]، وقوله عنهم: {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} [٦/٢٩]، ونحو ذلك من الآيات. وقوله في أماني أهل الكتاب: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ} الآية [٢/١١١]، وقوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} الآية [٥/١٨]، ونحو ذلك من الآيات.

فنزلت الآية ترجع الأمر للعمل وليس للمكانة، فالكل عند الله عبيده، وهم لديه سواسية، وليس الجزاء تابعاً لأماني الناس ومشتهاهم، بل هو أمر مقدّر من الله تعالى تقديراً بحسب الأعمال.

يقول سيد قطب: إن ميزان الثواب والعقاب ليس موكولاً إلى الأماني. إنه يرجع إلى أصل ثابت، وسنة لا تتخلف، وقانون لا يحابي. قانون تستوي أمامه الأمم – فليس أحد يمت إلى الله سبحانه بنسب ولا صهر – وليس أحد تخرق له القاعدة، وتخالف من أجله السنة، ويعطل لحسابه القانون .. إن صاحب السوء مجزى بالسوء؛ وصاحب الحسنة مجزى بالحسنة. ولا محاباة في هذا ولا مماراة.

ولعلكم تذكرون تلك القصة النبوية الرائعة عن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فروى البخاري ومسلم أن قرَيشاً أَهَمَّهُمْ شَأنُ المَرأَةِ المخزومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فقالوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: مَنْ يَجْتَرِئ عَلَيْهِ إلاَّ أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: « أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله تَعَالَى ؟! » ثُمَّ قامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «إنَّمَا أهْلَك مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَأيْمُ الله، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحمّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعتُ يَدَهَا».

الناس في الدول المتحضرة كأسنان المشط، لكن عندما تتدغدغ أسنان المشط تفقد تناسقها وتساويها، وعندها يفقد المشط وظيفته، ولا نجد له مكان إلا صندوق القمامة، وهذا ما يحدث تماما في الدول التي يتدغدغ أفرادها، ويصبح فيهم الكبير العملاق، والقزم القصير، فعندها تفقد كيانها، ولا تجد مكانا لا إلا هامش الحياة ومزبلة التاريخ.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بصمة العمر

إذا تمعنت في مفردات الحياة وأبجدياتها لوجدت العجب العجاب، فمن الناس من يمتلك الصحة وهو يستنزفها في شرب الدخان وتناول المسكرات وسائر الموبقات، ومنهم المريض الذي يطوف على الأطباء من أجل درهم صحة، ومنهم من يخدم المال –وما أكثرهم – ومن يخدمه المال، وجميلة فاتنة تعاني بؤس الحياة الزوجية ودميمة تقود زوجها بإشارة اليد، وأول دفعته لا يجد وظيفة تقبله وزميله الأقل منه تعليميا بمراحل ترحب به الوظيفة المرموقة لأنه من أبناء العاملين بالمؤسسة، وتاجر في محل صغير يرتاح بشق الأنفس من شدة زحام زبائنه عليه وصاحب وكالة كبيرة لا يجد من يشتري منه بدرهم.

وليست الأمور على هذا المنوال فحسب، بل لقاعدة «من جد وجد ومن زرع حصد» نصيب ودور ليس بالهين ولا بالبسيط، فهذا عالم أضنى عمره في البحث والإطلاع يلتف حوله الطلاب من كل حدب وصوب، وذاك طبيب نطاسي يقصده المرضى من أقاصي الأرض، ومهندس بارع تطلبه مختلف الأقطار ليشيد لها ناطحات السحاب، وفيزيائي لامع محط الرعاية الأمنية من دولته لأن لديه من الأسرار الذرية ما جعله كنزا استراتيجيا.

لكن يبقى «الرحيل» الحقيقة الواحدة التي تجمع كل هذه الأطياف بحلوها ومرها، وخيرها وشرها .. نعم، فالكل مرتحل ومغادر طال المقام أم قصر في هذه الدنيا الفانية، {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: ٢٦].

يرحل الجميع ويترك «بصمة» .. فمنهم من بصمته باهتة تكاد لا ترى، وكأنه دخل الدنيا وخرج منها سرا لا يعلم به أحد، ومنهم من بصمته ظاهرة لا تمحوها الأيام ولا السنون، ولا تنساها سجلات التاريخ أبد الدهر.

وحتى البصمات الظاهرة درجات، فمنها الأسود الحالك التي استوعبت الشر استيعابا، فهي قرينة اللعنات في ملكوت الأرض والسماوات {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ}، ومنها البصمات البيضاء الناصعة التي اغترفت الخير

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

غرفا، وكفى نموذجا شخصية رسول الله –صلى الله عليه وسلم– التي غيرت وجه العالم وأثمرت خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح:٤] قال المفسرون: ذكر اسمه –صلى الله عليه وسلم– مقرونا باسم الله تعالى «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وقال آخرون: أن تذكر مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها.

ويأتي بعده –صلى الله عليه وسلم– تلك السلسلة النبوية المباركة (نوح، إبراهيم، موسى وهارون ..) التي قال الله تعالى في كل منهم: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} [الصافات:٧٨] أي وأبقينا له ذِكْرًا جميلا وثناءً حسنًا فيمن جاء بعده من الناس يذكرونه به، ثم يليهم الصالحون والمصلحون على مر الزمان.

وهيئة وطبيعة البصمة الدنيوية تحدد بالطبع المصير والمآل الأخروي، فبصمة الحياة أشبه بصحيفة الحالة الجنائية التي تبين الطالح من الصالح، فالطالحون في الآخرة إلى سقر، والصالحون وجوههم أجمل من القمر {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} [القمر:٥٥]

والبصمة الدنيوية البراقة هي عمر الإنسان الحقيقي العامر بالإنجازات، وهي العمر الذي يقاس بكم الإيجابيات لا بالسنوات، فمن الناس من بصمته حسن سيرته، ومنهم من بصمته علمه النافع، ومنهم من بصمته فكره الخلاق .. وعلى هذا يتميز الصفوة الأخيار من الذين عاشوا كما زائدا في الحياة لا فرق بين وجودهم وعدمهم.

إن الحريصين على أن لا تمر حياتهم هملا، ويؤمنون كل الإيمان بوجودهم والغاية منه، يرسمون طريقهم في هذه الحياة الدنيا بمهارة وجد منقطع النظير، ويستحقون أن نسميهم «صناع الحياة» الذين أنار الله تعالى بصائرهم لمنابع الخير فكان منهم العباد والنساك والعلماء والمبدعين والمخترعين .. في فسيفساء جمالية تأخذ بالأبصار، وهم الذين فنيت أبدانهم وبقيت أعمالهم فلا زالت البشرية تعيش في رحابها وتلهج الألسنة على مر الزمان بالترحم عليهم والثناء الجميل لسيرتهم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

إنها حياة ممتدة لا ينقطع الثواب فيها بالموت شأن سائر البشر، بل إنهم يعيشون آخرتهم في كنف الخير الذي تركوه والنفع الذي أنشئوه، فقال –صلى الله عليه وسلم–:

– «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علما نشره، وولدا صالحا تركه، ومصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته» [رواه ابن ماجة]

– «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث :صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [مسلم]

– «أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطا في سبيل الله، ومن علم علما أجري له عمله ما عمل به، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له» [رواه أحمد]

قال المناوي: لا تعارض بين قوله هنا أربعة، وقوله في الحديث المتقدم «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» لأن أعمال الثلاثة متجددة، وعمل المرابط ينمو له. وفرق بين إيجاد العدوم وتكثير الموجود.

– «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» [مسلم]

وعلى الجانب الآخر هناك من دخل الدنيا وخرج منها لا له ولا عليه، خاو الوفاض، خامل الذكر، ومنهم من أمعن في الشر، وسن سنة خبيثة يلحقه وزرها ووزر من عمل بها، كما قال –صلى الله عليه وسلم–: «لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل» [متفق عليه]

يقول د. عبد الله الشمراني: «فاكتبْ تاريخك بمداد من نور، واعمد إلى عظائم الأمور، واجعل لك في كل أمر عظيم نصيباً، واهتم بالإنجازات البسيطة؛ لأنها في النهاية تشكل عملاقاً رائعاً؛ فالجبال من الحصى. وإياك وتوافه الأمور؛ فإنها تجتمع حتى تكون جبلاً بركانياً ينهار على صاحبه فيهلكه في لحظة واحدة.».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أما مقومات البصمة البراقة فتتركز في: وضوح الهدف، والإيمان بتحقيقه، وإدارة الوقت بشكل جيد كي لا تتسرب السنون منا دون أن نشعر، هذا مع همة عالية تناطح السحاب، والتخلص من معوقات الطريق بشكل جيد، وإخلاص مع الله في كل حركة وسكنة، وتجنب المعاصي سرا وجهرا، ومع قليل من الصبر والرضا والحزم تهون عليك مصاعب المسير.

روى حجاج بن حجاج الأحول –ويلقب بزق العسل– قال سمعت قتادة يقول: يا بن آدم إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا عن نشاط فإن نفسك مائلة إلى السآمة والفترة والملة، ولكن المؤمن هو المتحامل، والمؤمن هو المتقوي، والمؤمن هو المتشدد، وإن المؤمنين هم العجاجون إلى الله الليل والنهار، والله ما يزال المؤمن يقول: ربنا ربنا في السر والعلانية حتى استجاب لهم في السر والعلانية.

إن العمر أغلى من أن نقضيه عبثا أو على كرسي الانتظار، فلكل وقت وظيفته، والحياة تتنوع بين جد ولعب، وتعب واسترخاء، وغنى وفقر، وصحة ومرض .. والبارع هو من يتعامل مع كل مرحلة بما يناسبها، ويحاول أن يعتصر منها حلوها ويدع مرها، المهم أنه لا نقع في أتون اليأس أو القلق أو التسويف أو اغتنام اللحظة دون استشراف المستقبل الممتد.

وتخيل دوما أن حياتك صفحة بيضاء نقية وأن بيدك ريشة الألوان وأنت بكامل إرادتك الذي تقوم برسم لوحة حياتك واختيار ألوانها، فلون حياتك بالإنجازات تسعد وتسلم في الدنيا والآخرة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

حُسن التلقي

حسن التلقي أهم ما كان يميز جيل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .. وتميز الصحابة بتلك الفضيلة كان له دوافعه ومبرراته العديدة، فلقد رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم العجب العجاب الذي جعلهم يؤمنون به وبرسالته ويحبونه حتى شغاف قلوبهم، وكان عندهم أحب من المال والولد بل والأنفس، وفي كل هذا هم محقون لما يرون منه ما يبهر الألباب، فتارة ينبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم، وتارة يكفي قدح لبن صغير من يده الشريفة أكثر من أربعين رجلا من أهل الصفة، وتارة يمسح ضرع شاة قد أجدب من اللبن فيمتلئ لبنا خالصا سائغا للشاربين، وتارة يخبر بعضهم بما يدور في خلده، وتارة يخبرهم ببعض ما سيكون مما أطلعه الله تعالى عليه فيتحقق كما أخبر.

ومن مبررات حسن التلقي عند الصحابة نقاء النبع الذي كانوا ينهلون منه، حيث كانوا يأخذون القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم غضا طريا كما أنزل، بعيدا عن تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، كما كانت السنة النبوية المطهرة يانعة لم تعبث بها أيدي العابثين والوضاعين والكذابين، ولم تشوه معالمها الأهواء والخرافات.

ومن مبررات حسن التلقي عند الصحابة إحساسهم بروعة النور الذي اتبعوه، فلقد ذاقوا من مرارة الجاهلية وعذابها ما لا يحده وصف ولا يجمعه بيان، من عبودية ووثنية ومفاسد اجتماعية طاغية كالزنا ومعاقرة الخمر وأكل الربا ووأد البنات .. كل هذا الركام جعل الصحابة يحسون بلذة الدين الجديد الذي استحالت به الحياة آمنة من شراك الذل والعبودية، والظلم والتجبر، وتمييز الناس وفق ألوانهم أو أموالهم أو عشيرتهم.

قال تعالى ممتنا على الناس بهذه الرسالة المضيئة: {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} [الجمعة: ٢]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وأجمع وصف لتلك المرحلة ما قاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بين يدي النجاشي: «أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ولنعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام» (١)

ومن مبررات حسن التلقي عند الصحابة نقاء سريرتهم وحسن طويتهم، قال ابن مسعود: «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» (٢)

وحسن التلقي الذي أحوج ما تكون إليه الأمة الآن بلغ عند الصحابة من الدقة والالتزام حتى استوعب الأوامر النبوية كلها كبيرها وصغيرها، جليلها وبسيطها حتى أتوا بنماذج فريدة يندر أن تجدها فيمن بعدهم:

عن جابر رضي الله عنه قال: لما استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، قال: «اجلسوا» فسمع ذلك ابن مسعود، فجلس على باب المسجد، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «تعال يا عبد الله بن مسعود» (٣)

عوف بن مالك قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أو ثمانية أو تسعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم» وكنا حديث عهد ببيعة، قلنا: قد بايعناك. حتى قالها ثلاثا، فبسطنا أيدينا فبايعناه، فقال قائل: يا رسول الله، إنا قد بايعناك، فعلام نبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وتصلوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا» وأسر كلمة خفية، قال: «ولا تسألوا الناس شيئا» قال: فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل أحدا أن يناوله إياه (٤)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده!» فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله، لا آخذه أبدا، وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥)

بعدما وقّع النبي صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع قريش رغم شروطه الجائرة، قال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: «بلى» قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى» قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري» قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قلت: لا، قال: «فإنك آتيه، ومطوف به» قال عمر: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه، ومطوف به. قال عمر: فعملت لذلك أعمالا(٦) قال ابن حجر: المراد به الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداء، وفي رواية ابن اسحاق: وكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به. وعند الواقدي قال عمر: لقد أعتقت بسبب ذلك رقابا وصمت دهرا (٧)

الهوامش

(١) رواه أحمد في المسند ـ مسند أهل البيت رقم ١٦٤٩ (٢) تفسير القرطبي ج١ ص ٦٠ (٣) رواه أبو داود ـ كتاب الصلاة رقم ٩٢٠ صحيح أبي داود بتحقيق الألباني رقم ٩٦٦ (٤) أبو داود ـ كتاب الزكاة رقم ١٣٩٩ صحيح أبي داود بتحقيق

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الألباني رقم ١٤٤٥ (٥) رواه مسلم ـ كتاب اللباس والزينة رقم ٣٨٩٧ (٦) رواه البخاري ـ كتاب الشروط رقم ٢٥٢٩ (٧) فتح الباري لابن حجر ـ كتاب الشروط ـ ج٥ ص ٤٠٨

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فلنبدأ من جديد

كان يحرث أرضه بجوار الشجرة العتيقة التي طالما جلس تحتها يستريح من عناء العمل ومن لهيب الشمس الحارقة، وبينما يجوب بمحراثه في أرجاء الحقل إذ قطع المحراث أحد جذور هذه الشجرة الضارب في الأرض، ليكتشف صاحبنا الجذر وقد أصيب بمرض فطري خطير، أعاد ذاكرته إلى الوراء وحرك في نفسه ذكريات أليمة .. إنه هو نفس المرض الذي أصاب شجر القرية –بل والناحية كلها– منذ عقود مضت، وأفنى منه الكثير.

صرخ صاحبنا قائلا: يا إلهي، عاد الوباء من جديد! رحماك ربي، أستغفرك وأتوب إليك ... ولم يكد يتمالك نفسه حتى ركض في الحقول المجاورة يهتف بالفلاحين وينشر هذا الخبر المشئوم .. هرع الكل إلى الشجرة المنكوبة، ونظروا إليها بأسى، وخاطراتهم تدور بها أحداث قاسية قديمة لا يحبون مجرد التفكير فيها فضلا عن الحديث عنها، ولكن ماذا عساهم أن يصنعوا، وهم يعرفون جيدا أن هذا المرض لو وصل إلى ساق هذه الشجرة سيدمرها، وينتشر منها غبار يحمل جرثومة المرض إلى باق الشجر بالناحية، ليأتي هذا المرض الفظيع على الأخضر واليابس، فالشجر هو رئة القرية التي بفضله ينعم أهلها بعبق الهواء النقي والظل الوافر والثمر الطيب.

لم يجد هؤلاء البسطاء حيلة أمامهم إلا الذهاب جميعا إلى مسئول الجمعية الزراعية بالقرية كي يواجه الأمر، وفي الطريق إلى الجمعية الزراعية كانت أحاديث النفس تراود كل فرد منهم، فالكل يعلم يقينا أن مسئول الجمعية لن يتحرك فيد أنملة، خشية أن يجر على نفسه صخب هو في غنى عنه، فضلا عن أنه يمكن أن يلقي بنفسه تحت طائلة المسائلة حول برنامج الوقاية الخاص بأمراض النبات، والذي كان لا يطبق بالفعل إلا على أوراق وسجلات الجمعية فقط.

كانت الجمعية الزراعية جميلة المنظر، لها واجهة رخامية خلابة، وباب واحد فقط، لكن كل أبناء القرية يعلمون أن لها في الحقيقة ألف باب خلفي يقصده المنتفعون والوصوليون وأصحاب النفوذ الذين على استعداد لأن يدفعوا في الخفاء من

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أجل الحصول على خدمات خاصة!، ورغم كل هذا تجمعوا أمامها ليرفعوا الأمر للمختص مغالطين أنفسهم، يحدوهم الأمل في استجابة ولو ضئيلة، خاصة وأن الموضوع عام يمس الكل وليس بفردي يتعلق بالبعض، لكن رئيس الجمعية رفض مقابلتهم .كما كان متوقعا . فقد كان مشغولا بتسوية الاختلاسات الأخيرة من حصة مبيدات الآفات الزراعية.

وفي المساء كان الحديث عن هذه المشكلة مستحوذا على كل مجلس، وقرر الجميع بعد طول مناقشة الذهاب لعضو البرلمان عن دائرتهم الانتخابية ليطلعوه على الأمر كي يثير المشكلة في البرلمان ومع كبار المسئولين، وبالفعل استجاب العضو المصون لطلباتهم، وفي أول جلسة للبرلمان وقف النائب المغوار يعرض القضية بكل جرأة وطلاقة في أسلوب خطابي رنان، فلقد كان سيادته مفوها بليغا لا لخطورة الموقف ولكن لأن عدسات التلفاز كانت تعرض وقائع الجلسة، وكانت هذه فرصة سانحة له ليراه كل أبناء الدائرة وهو ينافح عنهم، مما يدعم موقفه ويزيد من شعبيته في دائرته الانتخابية التي كان موعد الانتخابات القادمة فيها على الأبواب.

وكالعادة وبعد أن أنهى العضو الموقر بيانه، قام معالي وزير الزراعة دون أدني روية، ولا حتى استفسار من معاونيه عن حقيقة القضية ... قام سيادته ليلقي خطبة حماسية عن أعداء النجاح، والمتخصصين في إثارة القلاقل والفتن دائما دون سبب يذكر، ثم انهالت أرقامه الفلكية على الحاضرين حول المليارات التي أنفقت في خطة الوزارة الحالية لمكافحة الآفات، وعدد الخبراء الأجانب الذين أحضروا للحيلولة دون ظهور المرض، وعدد المؤتمرات التي عقدت بهذا الصدد، وعدد ورش العمل التي تم فيها تدريب رجال الوزارة الأكفاء لهذا الأمر بالذات، وأختتم جنابه الحديث بطمأنة نواب الأمة بأن الحديث عن وجود هذا الوباء بالبلاد محض افتراء، وأن التدابير الوقائية التي اتخذتها الوزارة تحول دون ظهوره لعقود قادمة، بل لا نخطئ لو اعتبرنا بلادنا الحبيبة خالية من هذا الوباء تماما .... كل هذا وأبناء القرية البسطاء يطالعون بيان الوزير المبجل على شاشات التلفاز والدهشة على وجوههم، وكأن الذي يتحدث وزير الزراعة الياباني أو الاسترالي أو النرويجي وليس وزير زراعة بلدنا الحبيبة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

حاول الجميع تناسي المأساة ولسان حالهم يقول: لقد فعلنا ما بوسعنا، وحسبنا أننا أخلينا ساحتنا أمام الله وأمام ضمائرنا .. مر الوقت بطيئا، وانتشر المرض سريعا، وقضى على كل شجر القرية، وكانت استجابة المسئولين بالزراعة عبارة عن بيان قصير مفاده أنه رصدت بعض الحالات الفردية لهذا المرض وهي تحت السيطرة، ولم يستمر الأمر كثيرا حتى قضى المرض على كل شجر القرى المجاورة، وهنا تحركت كل القطاعات، فوزير الزراعة تصوره الكاميرات وهو يتجول في القرى المنكوبة، والطائرات تقذف بالمبيدات التي استوردتها الدولة خصيصا لتدارك الأمر، والصحف الموالية تشيد بالمجهودات الضخمة التي تبذلها كافة الجهات المسئولة، هذا خلاف المؤتمرات والتصريحات والندوات حول طبيعة الآفة، وتاريخ انتشارها، وخبرة الدول الأخرى في التعامل معها.

كل هذا والجميع يعرف جيدا أن الأمر قد خرج عن نطاق السيطرة، وفات أوان عمل أي شيء، وكما هو متوقع دائما .. انتهى الأمر بإقالة مفاجأة لوزير الزراعة، وخروج الوزير الجديد على الملأ، معترفا بخطورة الموقف، واعتذاره بأنه لا يمكنه فعل شيء، وأنه تسلم الوزارة وهي تعاني من أزمات قاتلة، وبالتالي ليس بوسعه إلا أن يعلن أنه ينبغي طي صفحات الماضي الأليم، ولنبدأ من جديد صفحة ملئها الأمل، وهكذا دفع الشعب البريء ثمن خطأ لا دخل له فيه!!

تلك هي مشكلة أمتنا العربية قاطبة التي طالما بدأت من جديد مع كل وزير جديد ومع كل مسئول جديد ومع كل مفكر جديد، وتمر السنوات ولا شيء يتغير سوى إقالة هذا المسئول وتولى آخر ليعلن أنه سيبدأ عهد جديد، وعلى عكس المسئول السابق الذي قال: أن الطريق الأمثل من هنا. يقول الجديد: بل الطريق الأفضل من هناك، وفي الوقت الذي تجاوزت فيه العديد من الدول خطة الإصلاح وهي الآن تجني ثمرته، ما زالت أمتنا العربية تتحدث عن عزمها على تبنيها سياسة الإصلاح، وتدور الإشكالية .. هل ينبغي أن يكون الإصلاح من الداخل أم من الخارج؟

وكم سمعنا عن: مبادرة تفعيل دور المثقفين في الحياة النيابية، وسياسة خلق كوادر شابة لتتولى زمام الأمور بكفاءة في المستقبل، وبرامج النهوض بالمرأة، وبرامج

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

محو الأمية، ومنظومة محاربة عمل الأطفال، ومقاومة ظاهرة طفل الشوارع، وشعار مكافحة البطالة والعنوسة وسوء التغذية وغلاء الأسعار والفساد الإداري .. ليجد المواطن نفسه في خضم مبادرات وسياسات وبرامج وأطروحات لا تنتهي، وزوبعة تمضي وتحل بعدها زوبعة أخرى، ويبقى الوضع العملي كما هو عليه حيث لا يتحرك ساكنا، فمتى نبدأ سياسة البناء الفعلية؟ ليس من جديد، ولكن من حيث انتهى الآخرون في رحلة البناء؟!

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ليلى الطرابلسي .. عندما يعيد التاريخ نفسه

التاريخ مخزن العبر ومستودع العظات .. كم مر في طرقاته حكماء وعلماء، وأباطرة وقياصرة، عادلون ومستبدون، والرجال والنساء في كل هذا الخضم على السواء، وإن كان حظ الرجال في السرد أكبر، لكن كم طالعنا من أخبار العابدات والعالمات والماجنات والطاغيات.

وتبقى العبرة المشتركة بين كل هذه الأطياف أن «العز الحقيقي في طاعة الله»، ومهما انتفخ الظلم وانتفش فعاقبته مريرة في دنيا لا تصفو على الدوام لأحد، فما بالك بمن هم في شقاق مع الله تعالى.

- **«بوران بنت الحسن بن سهل»**

من خير النساء أدباً وأخلاقاً .. قيل أسمها: خديجة، وعرفت ببوران. كان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها منه. وليس في تاريخ العرب زفاف أنفق فيه ما أنفق في زفافها. احتفل أبوها بأمرها، وعمل من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله في عصر من العصور، وكان ذلك «بفم الصلح» وأنهى أمره إلى أن نثر على الهاشميين والقادة والكتّاب والوجوه بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك، فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة، فإذا علم ما فيها مضى إلى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها إليه ويتسلم ما فيها سواء كان ضيعة أو ملكاً آخر أو فرساً أو جارية أو مملوكاً.

ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر، وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه، وكانوا خلقاً لا يحصى، حتى كان على الجمالين والمكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره، فلم يكن في العسكر من يشتري شيئا لنفسه ولا لدوابه.

وذكر الطبري في تاريخه أن المأمون أقام عند الحسن تسعة عشر يوماً، يعد له في كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه. وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

درهم، وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف ألف وأقطعه «فم الصلح»، فجلس الحسن وفرق المال على قواده وأصحابه وحشمه.

وقال غير الطبري: لما طلب المأمون الدخول على بوران دافعوه لعذر بها، فلم يندفع، فلما زفت إليه وجدها حائضاً فتركها. فلما قعد للناس من الغد دخل عليه أحمد بن يوسف الكاتب، وقال: يا أمير المؤمنين، هنأك الله بما أخذت من الأمر باليمن والبركة وشدة الحركة، والظفر بالمعركة، فأنشد المأمون: (١)

فارس ماض بحربته ** صادق بالطعن في الظلم

رام أن يدمي فريسته ** فاتقته من دم بدم

- **«حبابة» .... جارية يزيد بن عبد الملك**

كانت مغنية من ألحن من رؤى في الإسلام من قيان، ومن أحسن الناس وجهاً، وأكملهم عقلاً، وأفضلهم أدباً. قرأت القرآن، وروت الأشعار، وتعلمت العربية. وهي مولدة من مولدات المدينة، كانت لرجل من أهلها يعرف بابن رمانة، وقيل: ابن مينا، وهو الذي خرجها وأدبها، فأخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز ومالك ومعبد وجميلة وعزة الميلاء. ثم اشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار.

وفي روايتي الطبري والدميري: أن «سعدة» زوجة يزيد بن عبد الملك، قالت ليزيد: يا أمير المؤمنين هل بقي من الدنيا شيء تتمناه بعد؟ قال: نعم، حبابة، فأرسلت من اشتراها بأربعة آلاف دينار، فصنعتها وزينتها حتى ذهب عنها كلال السفر. فأتت بها يزيد فأجلستها من وراء الستر، فقالت: يا أمير المؤمنين أبقي شيء من الدنيا تتمناه؟ قال: ألم تسأليني عن هذا مرة فأعلمتك؟! فرفعت الستر وقالت: هذه حبابة. وقامت وخلتها عنده.

فحظيت حبابة عند يزيد وأكرمها وغلبت على عقله فهام بها هياماً عظيماً، فأصبح لها نفوذ كبير في نفسه فتأمره فيصدع لأمرها، وتشاغل بها عن النظر في الأمور وفي أصحاب الظلامات حتى قال لها يوماً: قد استخلفتك على ما ورد علي، ونصبت لذلك مولاي فلاناً واستخلفته لأقيم معك أياماً وأستمتع بك.

---

(١) من كتاب"تاريخ الطبري" وكتاب" الكنايات" لأبي العباس الجرجاني

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

قالت: فإني قد عزلته، فغضب عليها وقال: قد استعملته وتعزلينه، وخرج من عندها مغضباً.

فلما ارتفع النهار وطال عليه هجرها دعا خصياً وقال: انطلق فانظر أي شيء تصنع حبابة. فانطلق الخادم ثم أتاه فقال: رأيتها بإزار خلوقي قد جعلت له ذنبين، وهي تلعب بلعبها. فقال: ويحك احتل لها حتى تمر بها علي.

فانطلق الخادم إليها فلاعبها ساعة ثم استلب لعبة من لعبها وخرج. فجعلت تحضر في أثره فمرت بيزيد. فوثب وهو يقول: لقد عزلته. وهي تقول: قد استعملته. فعزل مولاه وولاه وهو لا يدري.

فمكث معها خالياً أياماً حتى دخل عليه أخوه مسلمة فلامه، وقال: ضيعت حوائج الناس، واحتجبت عنهم، أترى هذا مستقيماً لك؟ وهي تسمع مقالته، فغنت لما خرج:

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا ** فقد غلب المحزون أن يتجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني ** ومن شاء آسى في البكا وأسعدا
وإني وإن فندت في طلب الغنى ** لأعلم أني لست في الحب أوحدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ** فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي ** وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

فطرب وقال: قاتلك الله، أبيت إلا أن ترديني إليك، وعاد إلى ما كان عليه. وكانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد، قال لها: أطير. فتقول له: فإلى من تدع الناس؟ فيقول: إليك.

ولما نزل يزيد ببيت رأس بالشام ومعه حبابة، قال: زعموا أنه لا تصفوا لأحد عيشة يوماً إلى الليل إلا يكدرها شيء عليه، وسأجرب ذلك. ثم قال لمن معه: إذا كان غداً فلا تخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب. وخلا هو وحبابة، فأتيا بما يأكلان، فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت!

فأقام يزيد لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيرت وأنتنت، وهو يشمها ويرشفها، فعاتبه على ذلك ذووا قرابته وأصدقاؤه، وعابوا عليه ما يصنع، وقالوا: قد صارت جيفة بين يديك،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

حتى أذن لهم في غسلها ودفنها، وأمر فأخرجت في نطع وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها.

فلما دفنت قال: أصبحت والله كما قال كثير:

فإن يسل عنك القلب أو يدع الصبا ** فباليأس نسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل رائني فهو قائل ** من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

وفي رواية: أن مسلمة بن عبد الملك قال: ماتت حبابة، فجزع عليها يزيد، فجعلت أواسيه وأعزيه، وهو ضارب بذقنه على صدره ما يكلمني حتى رجع. فلما بلغ إلى بابه التفت إلي فقال:

فإن تسل عنك النفس أو تدع الصبا ** فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

ثم دخل بيته فمكث أربعين يوماً ثم هلك.

وفي رواية: أن يزيد جزع عليها في بعض أيامه، فقال: انبشوا حتى أنظر إليها. فقيل: تصير حديثاً. فرجع فلم ينبشها.

وقد روى المدائني: أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها. فقال: لا بد من أن تنبش. فنبشوا، وكشف له عن وجهها، وقد تغير تغيراً قبيحاً، فقيل: يا أمير المؤمنين اتق الله، ألا ترى كيف صارت؟! فقال: ما رأيتها قط أحسن منها اليوم أخرجوها. فجاءه مسلمة ووجوه أهله، فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها.

وانصرف يزيد، وقد كمد كمداً شديداً، فلم يستطع الركوب من الجزع، ولا المشي، فحمل على منبر على رقاب الرجال، ولم يأذن للناس بعد حبابة إلا مرة واحدة، وقال: فوالله ما استتم دخول الناس.

وفي رواية: لما ماتت حبابة ضم يزيد جويرية لها كانت تخدمها إليه، فكانت تحدثه وتؤنسه، فبينا هو يوماً يدور في قصره إذ قال لها: هذا الموضع الذي كنا فيه فتمثلت:

كفى حزناً للهائم الصب أن يرى ** منازل من يهوى معطلة قفرى

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فبكى حتى كاد يموت، ثم لم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات بعد حبابة بخمسة عشر أو سبعة عشر يوماً (٢)

- «اعتماد الرميكية»

أم أولاد المعتمد بن عباد (أحد أشهر ملوك الأندلس)، عاشت معه في رفاهية وعز فاق الوصف، وحظيت عنده حتى كان لا يرد لها طلبا .. في يوم من الأيام رأت نساء من البادية يبعن اللبن، وقد شمرن عن سوقهن يخضن في الطين، فقالت: اشتهي أن أفعل أنا وبناتي كفعل هؤلاء البدويات.

فما كان من ابن عباد إلا أن بادر إلى تلبية طلبها، ولكن بطريقة البذخ والتبذير المفرطة التي كلفت خزينة دولته أموالاً طائلة، حيث أمر بالعنبر والمسك والكافور فسحق بماء الورد ليكون في هيئة الطين، وأحضر القرب والحبال لاعتماد وبناتها، فحملن القرب والحبال، ورفعن عن سوقهن وخضن في طين العنبر والمسك والكافور.

ولم يدم الأمر طويلاً حتى انقلبت الأمور على ابن عباد، فطرد من الأندلس شر طرده، ونزل مراكش ذليلاً خائفاً يترقب، مسلوب الملك والجاه، وأراه الله وبال فعله في الدنيا، حيث رأى بعينيه اعتماد وبناتها يكشفن عن سوقهن ليخضن في الطين في ثياب ذل ومهانة، فقال:

يطأن في الطين والأقدام حافية ** كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

فقالت له اعتماد: ما رأيت منك خيراً قط، فقال لها: ولا يوم الطين؟! فسكتت.(٣)

- ليلى الطرابلسي

---

(٢) أنظر أعلام النساء ج ١/ص ٢٣٢. الأغاني للأصبهاني. تاريخ الطبري. العقد الفريد لابن عبد ربه. حياة الحيوان للدميري. الكامل للمبرد. مجمع الأمثال للميداني. معجم البلدان لياقوت طبع أوربا. عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي. (مخطوط) المستطرف للأبشيهي

(٣) نفح الطيب – المقري

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

«السيدة الأولى» في تونس، وما أكثر السيدات الأوليات في حياتنا .. «الرئيسة»، «المغتصبة»، «السارقة»، «المرأة الحديدية»، «حاكمة قصر قرطاج» .. والعديد والعديد من الألقاب التي أطلقوها عليها.

ليلى التي كان لا يقدر أحد على تناول سيرتها إلا بالمديح والإشادة، حتى قامت ثورة تونس الشعبية المباركة (٢٠١١م) حين ثار الشعب على الجوع والظلم والاستبداد .. ليلى التي حكمت كل شيء في بلادها حتى زوجها بن علي، بل كشفت صحيفة «لوموند» الفرنسية، أن ليلى الطرابلسي زوجة الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي خططت للإطاحة بزوجها وتولي الرئاسة بدعم من أقاربها عام ٢٠١٣م، بعد الدعوة لانتخابات عامة، إلا أن سيف القدر كان أسرع.

وهي في عامها الـ٥٢، تتمتع بصحة جيدة، وهذا عامل رئيسي في السباق إلى السلطة. كما أنها نسجت بفضل عشيرتها شبكة من الولاءات والنفوذ. إذ بوصول الجنرال بن علي إلى الحكم، ظهرت إلى جانبه منذ البداية وكأنها ظله الملازم. ولا يفسر أو يبرر صعودها إلى هرم السلطة الدراسات التي قامت بها ولا المهن المتواضعة التي مارستها، بل كانت لها ميزات أخرى: الصبر، الحدس، والوصولية، وحب الذات.

وكان محمد الغنوشي، رئيس الوزراء التونسي ذكر في تصريحات سابقة أنه كان يشعر بأن ليلى بن علي، قرينة الرئيس المخلوع هي التي كانت تحكم البلاد في نهاية عهد زوجها.

لقد كانت ليلى تتمتع بنفوذ قوي في إدارة شئون الحكم بتونس، وكان أفراد عائلتها– كما يوصفون– يشكلون إمبراطورية فساد، ويلعبون دورًا قويًا على الساحة خلال سنوات حكم بن علي الثلاث والعشرين.

وقد نجحت هذه المرأة الطموح بتوظيفها لكل الأسلحة التي وجدتها متناولها، فهي رئيسة لعشيرتها وفي نفس الوقت زوجة مسيطرة على زوجها، ويقول بعض المراقبين أن ثمة تعايشا أنشئ بين بن علي وحلف ليلى: يهتم الأول بقضايا الأمن والملفات الدبلوماسية الحساسة والتحكيم الأخير، فيما يهتم الثاني بالعقود والصفقات وبسط الهيمنة على كل المشاريع.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وابتداء من ١٩٩٦ أينعت شراهة عشيرة ليلى الطرابلسي، إذ استحوذ أخوها الأكبر بلحسن، على شركة الطيران، التي أصبحت «كارتاجو–آيرلينز»، والتي حولها إلى محور تجاري للعائلة. وما من أحد من أقارب ليلى إلا استحوذ على قطاع من قطاعات اقتصاد البلاد. ويستعرض كثير من المراقبين شراهة حلف الطرابلسي، واغتناء الإخوة، والأخوات السريع، والفضائح التي تسبب فيها البعض مثل عماد الطرابلسي الذي سرق يختا بقيمة ١,٥ مليون يورو من ميناء بونيفاسيو بكورسيكا.

وحسب أحد البرقيات المسربة من السفارة الأمريكية في تونس، عن طريق موقع ويكيليكس فقد كان هناك تقسيماً جغرافياً للإقطاعيّات بين آل بن علي وآل الطرابلسي، حيث نركّز عصبة بن علي على منطقة الوسط الساحلي بينما تتمركز عمليّات عصبة الطرابلسي حول تونس الكبرى.

كانت ليلى تملك سلطة أقوى من سلطة الوزير الأول، ويمكنها أن تقلب الحكومة، وتعين وتسرح السفراء والمدراء العامين كيفما يحلو لها، وضربت شبكة أقربائها والمقربين منها خيوطا عنكبوتية حول كل القطاعات: الهاتف الخلوي، البنوك، التعليم الحر...

ولدت ليلى عام ١٩٥٧ في أحضان عائلة بسيطة. كان والدها بائعا للخضر والفواكه الطازجة. لما حصلت على الشهادة الابتدائية، التحقت بمدرسة الحلاقة وعملت كوافيرة. التقت برجل أعمال يدعى خليل معاوي، وهي في سن الثامنة عشرة، وتزوجت منه ثم طلقت بعد ثلاث سنوات من زواجهما.

وبفضل معارف زوجها السابق بدأت في مخالطة عالم رجال الأعمال. فشرعت ليلى في ممارسة التجارة في بعض السلع بين تونس وإيطاليا. وفي أحد الأيام ألقي عليها القبض وسحب منها جواز سفرها. حينها طلبت من أحد معارفها، الجنرال طاهر مقراني، التدخل لاسترجاع الجواز. ومن المرجح أن يكون «بن علي» الذي كان آنذاك مديرا للأمن قد تعرف عليها في تلك الفترة.

ويقول آخرون أنه أثناء توليه مديرية الأمن الوطني تعرف بن علي على ليلى الطرابلسي، التي كانت مالكة لصالون حريمي في تونس. كان بن علي يشرف بنفسه

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

على مداهمات تحصل لمحلات أو أماكن تصل أخبار عنها إلى الأمن، وفي إحدى مداهماته لمحل ليلى الطرابلسي، شبك الغرام بين الاثنين وانتهى بعلاقة استمرت سنوات حتى انتهت بزواج مستمر. وعندما عين بن علي ملحقاً عسكرياً في المغرب كانت ليلى تزوره دائماً في منفاه القريب، رغم وجود زوجه وبناته معه في المغرب.

ولم يشهد حما زين العابدين بن علي الجنرال الكافي كيف أصبح صهره ومرافقه السابق رئيساً للجمهورية في تونس، فقد كان الكافي رحل عن الدنيا. وقام بن علي بعد ذلك بتطليق «نعيمة» زوجته الأولى، ليتزوج ليلى الطرابلسي، حيث لا يسمح القانون التونسي بتعدد الزوجات. كان رد الرئيس الجديد للجمهورية أنه يحتاج إلى صبي بعد أن عمّرت له «نعيمة» منزله بالبنات.

كان المحامي الشاب عبد الرحيم زواري هو الذي عقد قران زين العابدين بن علي على ليلى الطرابلسي، ومكافأة له على هذا العقد، عين بن علي زواري وزيراً للعدل. لكن عبد الرحيم زواري وفي لحظة غفلة قاتلة تحدث بالسوء عن ليلى الطرابلسي، حيث أوصل أحدهم حديث السوء هذا إلى الرئيس.

السلطة التي تملكها ليلة بن علي تعتبر أقوى من تلك التي يخولها الدستور لرئيس الحكومة التونسي. فهي بإمكانها مثلا أن تعين وزيرا أو سفيرا بيدها اليمنى ثم تدفعهما إلى الاستقالة بيدها اليسرى، كما يمكنها أيضا أن تزج بمسئول ما في السجن وتطلق سراحه بعد لحظات قليلة فقط. بعبارة أخرى، فهي تمتلك حق الحياة والموت على جميع التونسيين!!. وليست ليلى بن علي الوحيدة التي تملك مثل هذا الحق؛ فأقاربها وعائلتها استفادوا هم أيضا من نفوذها داخل النظام السياسي.

يشيع في فرنسا تلخيص حياتها بثلاث كلمات فرنسية ذات جرس واحد: **séchoir**, **trottoir**, **pouvoir** أي مجفف الشعر، الرصيف، السلطة

ووفق ما نقلت صحيفة «لوموند» عن مسئول فرنسي، فإن ليلى الطرابلسي حملت معها طنًا ونصف الطن من الذهب، بقيمة تبلغ ٤٥ مليون يورو (٦٠ مليون دولار) قبل مغادرتها مع زوجها خارج البلاد.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وقالت إنه وحسب المعلومات التي جمعت في تونس، فإن ليلى الطرابلسي زوجة الرئيس المخلوع ذهبت إلى البنك المركزي لأخذ سبائك من الذهب، لكن محافظه رفض ذلك، فاتصلت بزوجها بن علي، الذي رفض الأمر في البداية أيضا، قبل أن يوافق لاحقا، وتوجهت إثر ذلك إلى دبي.

العز في طاعة الله

هكذا هو حال الأيام مع الأغنياء وأصحاب السلطان والنفوذ، الذين – كما يتصور عنهم المخدوعون – حيزت لهم الدنيا بحذافيرها، فما بالك بحالها مع البسطاء والفقراء.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: لا تحسبن الحياة الطيبة مجرد التمتع بالشهوات، ولا الإكثار من عرض الدنيا وتشييد المنازل المزخرفات .. إنما الحياة الطيبة راحة القلوب وطمأنينتها، والقناعة التامة برزق الله، وسرورها بذكر الله وبهجتها، وانصباغها بمكارم الأخلاق، وانشراح الصدور وسعتها.

لا حياة طيبة لغير الطائعين، ولا لذة حقيقة لغير الذاكرين، ولا راحة ولا طمأنينة قلب لغير المكتفين برزق الله القانعين، ولا نعيماً صحيحاً لغير أهل الخلق الجميل والمحسنين.

لقد قال أمثال هؤلاء الأخيار: لو عَلِمَ الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من لذة الأُنْسِ بالله لجالدونا بالسيوف عليه، ولو ذاق أرباب الدنيا ما ذقناه من حلاوة الطاعة، لغبطونا وزاحمونا عليه.

ما ظنك بمن يُمسي ويُصبح ليس له هَمٌّ سِوى طاعة مولاه، ولا يخشى ولا يرجو ولا يتعلق بأحد سواه.

إنْ أُعْطِيَ شكر، وإن مُنِعَ صَبَر، وإذا أَذْنَبَ استغفر وتاب مِمَّا جَنَاه.

هذا والله النعيم الذي من فاته فهو المغبون، وهذه الحياة الطيبة التي لمثلها يعمل العاملون.

أيُّ نعيم لمن قلبه يغلي بالخطايا والشهوات، وأيُّ سُرور لمن يتلهب فؤاده بحب الدنيا وهو ملآن من الحسرات.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وأي راحة لمن فاته عيش القانعين، وأي حياة لمن تعلق قلبه بالمخلوقين.

وأي عاقبة وفلاح لمن انقطع عن رب العالمين، ومع ذلك لا يرجو العقبى، وثواب العاملين بالله (٤).

وقال ابن حزم رحمه الله: «إذا تعقبت الأمور كلها فسدت عليك، وانتهت في آخر فكرتك باضمحلال جميع أحوال الدنيا إلى أن الحقيقة إنما هي العمل للآخرة فقط، لأن كل أمل ظفرت به فعقباه حزن، إما بذهابه عنك، وإما بذهابك عنه، ولابد من أحد هذين السبيلين، إلا العمل لله عز وجل، فعقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل: أما في العاجل فقلة الهم بما يهتم به الناس، وإنك به معظم من الصديق والعدو، وأما في الآجل فالجنة » (٥).

إن لله أقواما عاشوا عيش السعداء، أذاقهم الله تعالى طعم محبته، ونعَّمهم بمناجاته، وطهر سرائرهم بمراقبته، وزين رؤوسهم بتيجان مودته، فذاقوا نعيم الجنة قبل أن يدخلوها، فلله درهم من أقوام عرفوا طريق السعادة فسلكوه.

وقد اشتاق النبي صلى الله عليه وسلم إلى مثل هذا العيش، فكان يدعو –كما عند الترمذي وغيره– ويقول: «اللهم إني أسألك الفوز في العطاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء» (٦).

---

(٤) الخطبة رقم (٨٠) من كتاب (الفواكه الشهية في الخطب المنبرية) تأليف العلامة الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه

(٥) الأخلاق والسير ص ١٣

(٦) سنن الترمذي (٣٤١٩) والحديث ضعف سنده بعض أهل العلم كالألباني في ضعيف الترمذي

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

هو الله.. الخالق البارئ المصور

في عيادة طبية النساء والتوليد، جلست تنتظر دورها للقاء الطبيبة التي تشرف على حملها منذ بدايته .. كانت مرتبكة، تظهر عليها أمارات القلق والاضطراب والخوف من شيء ما مجهول، وعندما حان وقت الدخول، كانت تتقدم في خطوات متعثرة وكأنها لا تريد هذا اللقاء .. بعد الكشف الروتيني عليها، سألت الطبيبة في تردد عن موعد الولادة، فطمأنتها وأخبرتها أن لحظة الولادة باتت وشيكة، فما كان منها إلا أن انفجرت في البكاء، مما أدهش الطبيبة وأصابها بالذهول!! فأخذت تهدأ من روعها، وتربت على كتفها، دون أن تعرف لهذا الدمع الغزير سببا، ولا كيف تتصرف مع أمر مثل هذا عجبا.

وبعدما هدأت أخبرتها بخبرها العجيب، وحالها الغريب، فهي أم لخمسة بنات وزوجة لرجل يعشق الأولاد الذكور، ويأمرها بعد كل وضع بأنثى أن تكرر محاولة الإنجاب مرة ثانية لعلها ترزق بولد، وفي هذه المرة توعدها وهددها بالطلاق وطردها من البيت هي وبناتها الخمسة لو كانت المولودة بنتا.

لم تملك الطبيبة إلا أن توصيها بالصبر والتعلق بأذيال الرجاء في الله تعالى العلي الخبير القادر أن يحول لحظة الولادة المصيرية تلك من حزن إلى فرح وسرور، ومن خوف إلى أمن وحبور، ويرزقها الولد الذي سيضمن لها حياة أسرية هادئة.

وعند الولادة حدثت المفاجأة التي لم تكن على بال أحد، واستقبلت الطبيبة المولود الذي لم يكن بذكر ولا أنثى، بل كان قطعة لحم صماء لا أثر فيها لوجه ولا أطراف ولا أي ملامح تذكر!! فحملتها الطبيبة المؤمنة، وخرجت إلى الزوج الذي كان ينتظر بالخارج تلك اللحظة بفارغ الصبر، وقبل أن يبتدر الطبيبة بالسؤال عن جنس الوليد أسرعت فوضعت المولود الجديد بين يديه، فأصابه الذهول والدهشة من هول ما رأى، وهنا قالت الطبيبة الفاضلة: هذه رسالة الله تعالى إليك، لسان حالها يقول لك: (لم يعجبك خلقي وتصويري، فخذ أنت الوليد وصوره كما تشاء).

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ساعتها انفجر الزوج في البكاء وصرخ مرددا: «لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، إنا لله وإنا إليه راجون».

هذا الموقف يبرز لنا مشكلة دائما ما نقع فيها، ومفهوم خاطئ كثيرا ما يستحوذ على عقول الكثيرين منا .. إنها قضية «عدم الرضا باختيار الله» رغم أنه دائما يكون اختياره جل شأنه الأفضل، لأنه صادر من عليم حكيم، رحيم بالإنسان أكثر من رحمة الإنسان بنفسه.

كثير منا يشتهي الغنى، والله يعلم أن صلاح البعض لا يكون إلا بالفقر.

وكثير منا يبتغي الجاه، وعلم الله أن الجاه سيطغيه، وأفضل له أن يكون مع غبراء الناس وبسطائهم.

وكثير منا يتمنى لو ركب سيارة، والله يحول بينه وبين هذه الأمنية لعلمه التام أنه لو ركبها سيرتكب بها حادثة يخرج منها معوق بإعاقة تلازمه طيلة الحياة.

وكثير منا أيضا يرغب في الولد، وعسى أن يكون هذا الولد فاسقا لا يعرف لوالديه حقا ولا برا، فيكون محنة في الكبر بعدما كان أمنية غالية في الصغر، وما أشدها وأقساها من محنة. قال تعالى: {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً }[الكهف: ٨٠]

وتفويض الأمر لله كان سنة نبوية وهدي مصطفوي، وهكذا كان ديدنه صلى الله عليه وسلم مع ربه، وهذا في الدعاء النبوي كثير وعديد، فمنه دعائه صلى الله عليه وسلم: (اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت) (١) (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا) (٢)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وكان صلى الله عليه وسلم يستخير دائما الله تعالى في شأنه كله، ويدعو فيقول: (اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني) (٣)

فالعجب كل العجب أن نحدد ونختار بعضا من رحمة الله، رغم أنها أوسع من أن يحدها شيء.

والعجب أن نظن أننا بأنفسنا رحماء، وننسى أن الله بأنفسنا أرحم.

والعجب أن لا نرى من الخير إلا ما تراه أعيننا القاصرة، والله تعالى له الرؤية النافذة التي لا يحجبها شيء، وعنده العلم الشامل الذي لا ينقصه شيء، علم ما كان وما سيكون.

والعجب أن لا نرضى بالقضاء الرباني، وهو خُلق الأنبياء والأولياء والصالحين، الذين كانوا لا يبغون باختيار الله تعالى بدلا، ولا بحكمه حكما، ولا بأمره أمرا.

يا رب أنا بك وإليك، لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت.

الهوامش

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

(١) أبو داود ـ كتاب الأدب برقم ٤٤٢٦ (٢) رواه الترمذي ـ كتاب الدعوات برقم ٣٤٢٤
(٣) رواه البخاري ـ كتاب الجمعة برقم ١٠٩٦

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

علمتني الأيام

الحياة كنز العظة ومخزن العبر، سواء في الماضي حيث أعماق التاريخ السحيق، أو في الحاضر حيث التجارب أكثر واقعية وألصق معايشة.

وحظ كافة البشر من دروس الحياة يكاد يكون متساويا، إلا أن الاختلاف بينهم بحسب إعمال الفكر في استخلاص الفوائد لصقل مواهبنا الذاتية وتدعيم خبراتنا الشخصية، فحظ الناس من الاستفادة من وقائع الأيام بقدر حظهم من تدبرها وتحليلها واستخراج عصارة تجاربها لتكون وقودا للأحداث والمواقف المستقبلة، أما من تمر عليه صروف الأيام وهو غافلان، فهذا من أهل الهوان والخذلان، بل هو من العميان، وقد قال الرحمن: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}[الحشر:٢]

- علمتني الأيام: أن ظهور القبح ممن كنت تظنهم أهلا لذلك إنما هو انتصار لرجاحة عقلك، وبعد نظرك، وجودة حكمك على الخلق. وما ظهر منهم إنما هو رسالة ربانية بأنهم لا ينفعون وقت شدائدك وملماتك، فلا تعول عليهم كثيرا.
- علمتني الأيام: أن لا أجاهر بالعداوة لأحد، فلأن أكسب صديق خيرا لي من اكتساب عدو، ومن يدري لعل الأيام تطول بي فأرى أني كنت مخطئا في تلك العداوة، أو أحتاج يوما ما إلى هذا الذي خسرته جراء اندفاعي، وحينها لا ينفع الندم.
- علمتني الأيام: أن كل معصية إنما هي خصما من رصيد راحتك وسكينتك وسعادتك في الدنيا والآخرة. وصدق إمام التابعين سعيد بن المسيب حيث يقول عن ذلك: (ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله، ولا أهانت أنفسها بمثل بمعصية الله، وكفى بالمؤمن نصرة من الله عز وجل أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله).

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- علمتني الأيام: أن لا أتحدث عن إنجازاتي الشخصية، بل أدع الآخرين يتحدثون عنها، وما أصدق الإمام مالك حين قال: إذا مدح الرجل نفسه ذهب بهاؤه.
- علمتني الأيام: أن أفر من الفاشلين فراري من الأسد، فالفاشل كالذي يغرق في البحر فأنه يتشبث بقوة بمن ينقذه، حتى ولو كبل سواعده وأدى ذلك لغرقهما معا، والطبع لص كما يقولون.
- علمتني الأيام: أن انتقاء الكلمات واختيار الألفاظ من شيم العقلاء وسلوك النجباء الذين ينتقون الكلام كما تنتقى أطايب الثمر .. إن التسرع في إطلاق لفظ غير مسئول يمكن –وبسهولة– أن يغير نفسية المتلقي، وتخسره وأنت لا تدري، فتجده صعب المراس، سيء التواصل، يتصيد لك الأخطاء حتى ولو دقت أو صغرت، وكما قال الشاعر:

عين المحب عن كل عيب كليلة .. وعين السخط تبدي المساوي

- علمتني الأيام: أن الناس مولعون دائما بالغرائب والمبالغات والتشدد، وقد يكون هذا جليا في الوصفات الشعبية العشبية، حيث يبالغون في قدرة عشب معين أو عطار مخصوص على تحقيق الشفاء وبلوغ المراد، هذا فضلا عن المبالغة في وصف الأحداث لإضفاء المزيد من الإثارة والظهور بمظهر المثقف العميق أو المحلل البعيد الرؤية المتابع للأحداث، وقليل ما هم الذين يلزمون أنفسهم بالتحري والتثبت قبل نقل الأخبار، فإذا رأيت أمثال هؤلاء فعض عليهم بالنواجذ، لأن مجاورة الأمناء سمة الفضلاء.
- علمتني الأيام: أن اكتساب الآخرين لا يكون إلا بنكران الذات والاهتمام بهم والانخراط في مشاكلهم والاستماع لشكواهم وخوالج صدورهم والسعي في قضاء حوائجهم.. إنك إذا منحت نفسك للآخرين ملكت قلوبهم.
- علمتني الأيام: أن من الناس من لا يؤثر فيهم الجميل، ولا تملكهم بالإحسان، بل وقد يقابلون أياديك بالجحود، ولا يعرفون غير لغة الشكوى ومفردات

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

التسخط، وهؤلاء حمى الأرواح ومنبع الأسقام، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله تعالى.

- علمتني الأيام: أن الإنجازات من أجمل أطايب الدنيا، وأنها الوحيدة التي تهون انفلات لحظات العمر من بين أيدينا، فما أجمل أن تضع رأسك على الوسادة آخر اليوم وترصد إنجازاتك بين عمل مثمر يصون عرضك عن ذل السؤال، وصلاة أديتها، وصدقة أخرجتها، ورحم وصلتها، وحاجة لضعيف قضيتها.. إن برد الحسنات يقع على القلب المكلوم فيطفئ لهيب علته، ويزرع بين جنبات الصدر سكينة طيبة الإحساس.. فاحزم أمرك، ورتب أوراقك، وتعامل مع أحداث الحياة بإيجابية، تدخل إلى السعادة في الدنيا من أعظم أبوابها ألا وهو باب «الرضا عن النفس»
- علمتني الأيام: أن أهم أسرار السعادة الزوجية قضية «الإعفاف» فهي المقصود الأعظم للزواج، وهذا سر الإشكالية والقضية الجوهرية التي لا تفهمها غالب النساء، حدثني واحد ممن تزوج بخادمة وليست أنثى وسكن تتقن فنون التجمل .. حدثني قائلا أنه ما إن تقع عينيه مصادفة على امرأة متبرجة في الشارع قد اهتمت بكل تفاصيل أنوثتها إلا وينزف قلبه حسرة وألما، وآخر أسر لي أنه متزوج من سبع وعشرين سنة ولم يتذكر مرة أنه أراد زوجته بطريقة هادئة وسلسلة، بل لابد من مناورات ومشاورات، وكر وفر، والغلبة لمن يتقن السيطرة على الموقف لصالحه، ويحول دون هروب الطرف الآخر من تحقيق مراده، فهذا طالب وهذه هاربة، والعبرة بفنون المكر والدهاء.. بالله عليكم هل هذه حياة، فلا عجب بعد هذا أن تسمع حديثا نبويا في أنهن أكثر أهل النار.
- علمتني الأيام: أن من الناس من كثر علمه وقل عقله، ومنهم من قل علمه وكبر عقله، والسعيد من كثر علمه وكبر عقله، فهو يتعامل مع المواقف بحكمة وعقلانية وحصافة، يقود دفتها نور المعرفة، وما أرجحها من قيادة وأسعده من زمام.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- علمتني الأيام: أن العمل المميز أعدائه كثر ومنتقدوه أكثر وأكثر، ذلك لأن قيمته فريدة، وقدرته المبتكرة على إثبات نفسه وكسر المألوف وبراعته في التجديد منقطعة النظير، فمن الطبيعي أن يلفت انتباه الناقدين ويثير حفيظة المحللين، ويكشف حقد الحاقدين والغيورين، لكن بعد كل هذا التمحيص يبقى بريقه أبد الآبدين.. لما ظهرت «قناة الجزيرة» في سماء الإعلام العربي حركت الكثير من المياه الراكدة في مجتمعاتنا العربية الآسنة، وتطرقت للكثير من الملفات الشائكة بحرفية ومهنية متميزة، مما أثار العداوات بين الرؤساء العرب وحاكم قطر، وقال المأجورين فيها الكثير على شاشات القنوات الحكومية الرسمية في مختلف البلدان العربية .. بعد كل هذا تلاشت كل هذه السحب السوداء، وبقيت الجزيرة في صورة قشيبة رائدة، لأنها مست قضايا الشعوب في الصميم دون الالتفات للمجاملات والشعارات، حتى أنها تعد مرحلة فارقة في حياة الإعلام العربي، وصرنا نصنف حياة الإعلام بفترة ما قبل الجزيرة وما فترة بعد الجزيرة، وما لبثت الكثير من القنوات الفضائية تقلدها ولكن هيهات.. وهكذا صارت الجزيرة القناة الإخبارية الأولى بامتياز، يشاهد حصادها الإخباري اليومي أكثر من ٦٠ مليون نسمة، ويدخل على موقعها على النت ملايين وملايين من مختلف أرجاء المعمورة.
- علمتني الأيام: أن الطرق التقليدية رغم أنها بطيئة وتستنزف الوقت والجهد إلا أنها لا تخلو من بعض الفوائد .. في كثير من الأحيان وأن أطالع الكتب في مختلف نواحي المعرفة أجد درر من الأقوال وروائع من الأحداث الجديرة بالتدوين، فعزمت على أن أرصدها وأعيد نقلها على حاسوبي الشخصي بصف حروفها حرفا حرفا، بصرف النظر عن قصرها أو طولها في بعض الأحيان الذي قد يصل لصفحات .. كان العمل مضنيا، وصف الحروف مملا لأبعد غاية، إلا أنني بعد فترة حصلت فوائد أكثر من رائعة، فلقد تسارعت أناملي على لوحة مفاتيح الحاسوب بشكل غير عادي، وصرت أضرب عليها بتلقائية وسلاسة بعدما كنت في السابق أتعب في البحث عن كل حرف، كما أنني صرت لا أعبأ

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بطول الفقرات فالتدوين صار عندي ملكة راقية لا تلتفت لطول الكلمات بل التفاتها لروعة المعنى، هذا فضلا عن أن العيش مع الروائع الفكرية بتمهل حرفا حرفا وكلمة كلمة يجعلك تستمتع بها أكثر وتستفيد منها أكبر، ولا ننسى بركة نشرها على النت واستفادة الناس منها.

- علمتني الأيام: أن لا أعطي قبل أن أملك القدرة على العطاء .. في بواكير الصبا فكرت أن أكتب مذكراتي، وأرصد يوميا الأحداث التي تمر بي في أجندة خاصة، لكن لما عزمت على الأمر، وبدأت بالفعل، وجدت أن أحداثي اليومية وقتها باهتة وشبه عادية، تخلو من عبرة تذكر أو فكرة تسرد .. لكن لما تقدم بي السن وجاوزت الأربعين، وجدت من رصيد الذكريات وحصيلة التجارب ما هو جدير بالتدوين، وأن العطاء المعرفي أو المادي لابد له من رصيد ثمين كي يليق في قيمته بالعطاء كقيمة سامية.
- علمتني الأيام: أن المرض إذا تجاهلته فلن يتجاهلك، وأن المشكلة إذا أهملتها كبرت أكثر مما تتوقع .. فاحزم أمرك، وتفقد أحوالك، وفتش عن مكامن الخلل تُوهب لك آفاق النجاح.
- علمتني الأيام: أن الفرصة قد تأتي أكثر من مرة، عكس ما يتوهم الكثير من أنها لا تأتي إلا مرة واحدة .. في رحلتي الأولى للعمرة حرصت على قراءة كتب الفقه عن أحكام العمرة بتفصيل وتركيز منقطع النظير، كي يتسنى لي أداء عمرة نموذجية على هدي النبوة، رجاء القبول والمغفرة من الكريم الوهاب .. كنت أطوف حول الكعبة، وإذا بشاب ملتصق بجدارها ومعه زجاجة طيب يأخذ منها ويدهن جدار البيت العتيق .. أدركت حينها أنه قد فاتني شيئا مهما وتمنيت صنيعه .. ثم ما لبثت أن منّ الله تعالى برحلة الحج بسرعة لم أكن أتوقعها .. حينها أيقنت أن فرصتي قد عادت مرة أخرى، وبالفعل جهزت زجاجة الطيب وطيبت الكعبة وحقق الله لي الأمنية الغالية، التي أرجو قبولها من الكريم المنان.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- علمتني الأيام: أن التواجد في حياة البشر هو الذي يخلق المكانة العظيمة في نفوسهم، وأن القعقعة لا تجذب اهتمام المحيطين حتى ولو على ضجيجها، فأنا شخصيا لا أعرف –مثلا– اسم وزير التعليم العالي والبحث العلمي لأني أعيش في بلد المنتجات الصينية فيها أشبه بالسرطان الذي استشرى بالجسد، كما أني لا أعرف اسم وزير البيئة ومعدلات التلوث في الهواء عندنا وصلت لأربعين ضعف المعدلات العالمية، بل إنني لا أعرف اسم وكيل الوزارة الذي يترأس القطاع الوظيفي الذي أعمل به لأنني وببساطة لم أجده يوما يسهر على راحتي ويسعى في خدمتي، وفي المقابل تشدني أخبار إنجازات البلدان وتراودني أحلام السفر إلى اليابان.. إنه من السهل على الإنسان أن يتبوأ أعلى الأمكنة والمناصب ولكنه من الصعب أن يحتل مكانة في القلوب، وهذا هو السر الحقيقي للنفوس الكبيرة.
- علمتني الأيام: أن الحياة بها مفارقات أعجب من العجب، ففي ظل حالة السبات والخنوع العربي لا يقرع إسرائيل بالعصا إلا (حسن نصر الله) الشيعي الذي يتعبد إلى الله تعالى بسب الشيخين وسائر الصحابة إلا أربعة بزعمه. كما أن الذي يملك الطموح النووي والرغبة الجامحة في التقدم الدولي دولة إيران الشيعية التي تنام وتصحو على حلم تصدير الثورة التي ترتكز على أمور هي من الكفر البواح بمكان، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»
- علمتني الأيام: أن البدايات دوما تكون متعثرة وشاقة، وأن دواء العثرة المثابرة لا التراجع أو اليأس أو القنوط، فبعد العسر يأتي دوما اليسر بإذن الله تعالى، حيث تتحسن المهارات وتظهر القدرات الخلاقة والمبدعة، وما دام أحد من البشر أحسن أي أمر تخوض فيه، فثق دوما بأنك مثله قادر على إتقانه كما أتقنه أسلافك.
- علمتني الأيام: أنني في الدنيا وحدي، وأن الاعتماد المفرط على الغير ضرب من الوهم .. ما أحد يشعر بك أكثر من ذاتك التي بين جنبيك، أما لغة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

التضحية فصارت لا تعرفها قواميس العصر، ويندر من تجده يجتهد لسعادتك، ربما لأني لا أستحق أن يوجد بحياتي هذا الشخص، وربما لأن هذا الشخص غير موجود في الواقع من الأساس، على العموم، لا يحك جلدك مثل ظفرك.

- علمتني الأيام: أن للفكر دوما صولة وللهمة جولة، ولحظات الانتفاضة يمكن أن تكون قاسية على النفس، لكن من منا يبغي التغيير للأفضل دون أن يدفع الثمن، حتى باتت المشقة لذة .. ليست لذة حاضرة، ولكنها لذة مستقبلة، نستشعرها حين نحل بساحات الوصول للهدف.
- علمتني الأيام: أن أكثر شيء يزعج الآخرين منك هو اقتحام خصوصياتهم والتفتيش في أحوالهم ومدخراتهم ومكنون أسرارهم .. إنه نوع مؤلم من هتك الأستار وجرح الأخيار الذين ندعي محبتهم ونرى هذا الاقتحام نوعا من الاطمئنان عليهم .. وهيهات أن يقنع هذا المبرر أي عاقل، فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.
- علمتني الأيام: أن محاورة من لا يعرفون قدرك نوعا من المجازفة لن تجني من ورائها غير جرأة السفهاء عليك وسماع ما يحط من هيبتك ويسفه أحلامك، فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، خاصة وأننا في مجتمعات مصابة بالأمية الثقافية والدينية والجاهل لا يعرف العالم لكن العالم يعرف الجاهل لأنه كان يوما جاهلا، {كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ} [النساء: ٩٤]
- علمتني الأيام: الأصحاب رزق من جملة الأرزاق.
- علمتني الأيام: من النبع ترى الماء الزلال، ومن نسمات الفجر ترى قطرات الندى، ومن البشر لا ترى جمالا سوى في براءة طفل أو عطاء محب وما سوى ذلك فالناس كالعدم.
- علمتني الأيام: يضيع الإنسان عندما تضيع عواطفه، ومن وهب مشاعره لقريب بحكم القرابة أو جار بحكم الجوار فقد ضيع أغلى ثرواته، وإنما توهب الكنوز لمن يقدر قيمتها.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- **علمتني الأيام: مهما طال البعد تبقى المشاعر أقوى رباط لا يقطعه إلا سكين الكراهية.**
- **علمتني الأيام: أروع الرزق أن ترزق من ترتاح بين أحضانه وتشعر بالدفء من نبرات صوته حتى ولو كنت في أشد زمهرير الصقيع.**
- **علمتني الأيام: من يهب لي الحب لأغزو به العالم.**

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

سوانح الفكر

تتقلب بنا صروف الحياة: صعودا وهبوطا .. صحة ومرضا .. فقرا وغنا .. عزا وذلا .. أنسا ووحشة .. أمنا وخوفا .. وهي في كافة أحوالها عبرة ودرسا وذكرى وتذكره .. ومن السذاجة اعتبار الأحوال شيئا عاديا يمر مرور الكرام،، بل ما تفاضل أهل الفضل إلا باكتناز العبرة وتدوين الخبرة وتدارك الكبوة .. ففي أحوال الحياة درسا للمعتبر وعلما للمتعلم وذكرى للمتذكر.

- إذا لم يكن الله تعالى ملاذك فلا تشكو الضياع.
- كل الآراء محل نظر وجدل .. إلا رأيا مؤيدا بالوحي باستدلال صحيح.
- النبلاء من الناس هم تجاوزت أعمالهم أعمارهم.
- مهما تنوعت مشاعر الحنان وتدفقت .. لا يوجد أسمى من حنان الأمومة.
- الخيال: استراحة نفس، وبهجة فكر، ونشوة مشاعر .. في دنيا لا تخلو من المنغصات.
- أصعب إحساس في اللقاء .. الجفوة والنفرة ممن تجالس.
- أجمع وصف لمتع الدنيا .. «الماء، والخضرة، والوجه الحسن».
- العافية .. نعمة لا يعادلها شيء من المتاع الدنيوي.
- من أزعج صنوف البشر من يغردون خارج سرب الفطرة النقية والسجية السوية.
- الرعاع لا تزعجهم المواقف المحرجة، لأنهم لا يملكون كرامة تجرح ولا ضمير يتألم.
- الضجيج أعظم منغص لصفوة الفكر، فإياك والزوجة الثرثارة، والرفيق كثير الكلام.
- المرأة المخادعة من تهتم في شبابها بأدق تفاصيل جمالها، وتهمل كل هذا بعدما تدخل عش الزوجية.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- **من المفارقات العجيبة:**

مات أشهر طبيب في علاج الأزمات القلبية إثر إصابته بأزمة قلبية .. ودكتورة بارعة في علاج العقم هي نفسها عاقر لا تنجب .. وأخصائي في الأشعة التشخيصية حار الأطباء في تشخيص دائه .. واستشاري علاج الأم لا ينام إلا بقرص منوم.

- **«لاعب له ثمن» .. كلمة دوما لا تسمعها إلا من مشجعي كرة القدم، عندما يرون لعبة حلوة .. رغم أنه هناك طبيب له ثمن ومهندس له ثمن وصانع ومزارع .. لكن حصروا الكلمة على لاعبي الكرة لأن ثمنهم نتيجة موهبتهم لا أكثر ولا أقل .. فالشعوب السلبية لا تعرف النضال ولا المثابرة ولا الجد ولا الاجتهاد، وترى التميز موهبة ربانية بحته لا دخل للجهد البشري فيها، وبذلك التبرير يخرجون من نطاق جلد الذات بسبب غرقهم التام في الفشل.**
- **الفاشلون بارعون في التعلق بالقدر رغم أنه غيب لا يعلمه إلا الله، ولكنه شماعة الكسالى يهربون بها من لوم الذات، أما المتميزون فشعارهم: «علينا أن نسعى، ولكن ليس علينا أن ندرك النجاح».**
- **من عيوب الإنترنت أنها صنعت كيانات ثقافية هشة تريد المعلومة بضغطة زر على العم جوجل .. لكن لو تطلب الأمر بعض المثابرة على مر التعلم، آثرت الجهل على الفور، وكفرت بالثقافة.**
- **لا تحس بلذة العلم إلا في المجتمعات المتقدمة حيث مردوده الأدبي والمادي أقرب من شراك نعلك، أما في المجتمعات المتخلفة فالعلم رمز ووسيلة للوجاهة الاجتماعية .. كيف يستمتع بنعيم المعرفة من يعيشون بحكمة: (العلم في الراس لا في الكراس)!!**
- **الاستيعاب النظري لعلوم الفقه لا يكفي الفقيه حتى يتدرب عمليا على استحضار المسائل وتفريعاتها، وهذا يحتاج لمران طويل، يجاز في نهايته من أحد العلماء الثقات.**
- **احذر جهلة المتعلمين .. الطبيب الماهر الذي كل حياته المستشفى وغرفة العمليات والعيادة المكتظة بالمرضى، وكذلك المعلم المشهور والمهندس**

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الناجح.. إنها شريحة من أرباب الدنيا .. إذا صلى صل على عجل، وإن ذكر الله ذكره عند الشدائد .. لا يخلو بنفسه، ولا يأتي بورده، جاهل بأمور الأمة، منفصل عن قضايا مجتمعه .. ظاهره فيه الرحمة وباطنه خواء .. فانتفع بتخصصه، لكن لا ترجو منه حكمة العالم اللبيب الذي سبر الدنيا وحنكته تجاربها.

- «الحسب والنسب» من الفضائل التي ظل الناس يعتبرونها على مدار التاريخ .. فما من شك أن البيئة الفاضلة لها تأثير على أبنائها .. وما زالت الأسر العريقة محافظة على روائع الشيم في تقاليدها .. لكن عندما يتفلت الإيمان ويفشو الجهل، يعلو المال على المبادئ، وتتلاشى تلك المعاني النبيلة.
- إذا كنت ذا قدر ووجاهة عند البعض، فعليك بالرفق معهم لأبعد مدى، وإياك ثم إياك أن تجرحهم، لأن جرحك سيكون غائرا وصعب أن يندمل.
- التعفف أول منازل الوجاهة عند الناس.
- التلقائية .. أصدق تصرف في المعاملة.
- عصرية الرجل تقاس بمدى استفادته من الأجهزة المتطورة في زمانه، واستيعابه لمنظومة عصره التقنية.
- في عصر تنشطر فيه الذرة .. إذا رأيت دولة تعاني من أزمات بدائية كانقطاع الكهرباء وتلوث مياه الشرب وندرة الخبز الجيد .. وشعبها في ذات الوقت يتغنى دوما بحضارته العريقة .. فلا تعتد بها فإنها في النزع الأخير.
- «الوعي الشعبي» سيظل مكمن طاقة الشعوب لذلك هو محط أنظار المصلحين، وتشويشه هدف الحكام الفاسدين.
- السياسة اللعبة الوحيدة التي لا قواعد لها.
- ما أسهل نقد الناس، وما أصعب نقد النفس.
- الرجل رجل، والمرأة مرأة .. خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، ومن النساء من هي بألف رجل، لكن الشاذ لا يقاس عليه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

- إذا حدثك شخص علاقتك به سطحية، وطلب منك أشياء أو الانخراط معه في مهمة معينة ثم فارقك بعدها ولم يحرص على أخذ رقم هاتفك ليتواصل معك .. فانفض يدك منه، فهو إما فاشل أو مستهتر.
- من المواهب من ضاعت في غياهب المرض أو الجهل أو الفقر أو الغربة .. لكن أقساها على النفس موهبة ضاعت في غياهب دولة فاشلة.
- حق الرعاية –بكافة صنوفها وأشكالها– هو أعظم حقوق الفرد على دولته.

د/ خالد سعد النجار
مصر – طنطا – محافظة الغربية
alnaggar66@hotmail.com

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com